الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

صورة المجتمع السياسي في كتاب البخلاء

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالب(ة):
*- باغي مسعودة
*- فقرواي نادية

إشراف الأستاذ(ة):
زيناي طارق

السنة الجامعية: **2015/2014**

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بادئا ببدء نحمد المولى عزوجل ونشكره على توفيقه لنا في

إنجاز وإتمام هذا البحث، الذي نتمنى أن يكون في المستوى

وأتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ

"طارق زيناي"

الذي قدم لنا يد العون والمساعدة طيلة إنجازنا لهذا البحث

إهـداء

إلى من قال فيها سيد الخلق وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم

"الجنة تحت أقدام الأمهات"

إلى نبع الحب والحنان... إلى من حاكت خيوط الشمس لتقيني برد الحياة

إلى من غمرتني ببركات الدعاء وفاضت علي بعاطفة الأمومة ... إلى التي أمدتني بالأمل

" إلى الغالية أمي"

إلى الروح الطيبة. إلى الغائب عن أنضارنا الساكن في قلوبنا

"أبي **الغالي**"- رحمه الله وأدخله فسيح جنانه-

إلى سندي في الحياة... إلى معنى الأخوة والوفاء إلى الغاليين إلى قلبي

" عبد الغاني.... ربيع"

إلى من تقاسمت معهن حلو الحياة ومرها إلى النجمات الأربعة أخواتي:

"سليمة... سعاد... نجاة... صبرينة

الى الكتاكيت" هاجر.. غزلان... مريم... سندس... خديجة"

إلى رفاق الدرب إلى كل صديقاتي العزيزات اللواتي سكن في قلبي

"نادية أمينة خديجة رقية"

إلى كل من ذكرهم قلبي وساهم قلمي إلى كل من أحب

ونسأل الله التوفيق والسداد

"مسعودة"

إهـــــداء

إلى من ربياني صغيرا.

إلى كل من علمني

وأخذ بيدي ، وأنار لي طريق العلم والمعرفة.

إلى كل من شجعني في رحلتي إلى التميز والنجاح.

إلى كل من ساندني ، ووقف بجانبي .

أمـي و أبــي

إلى كل من كان النجاح طريقه، والتفوق هدفه ، والتميز سبيله.

إلى إخوتي واخواتي

وكل العائلة أخوالي وخالاتي

وكل ما صادفته حياتي

" نادية"

خطة البحث

خطة البحث

مقدمة

مدخل : تحديد المفاهيم والمصطلحات

-مفهوم المجتمع السّياسي

أ-المجتمع

ب-السياسة

2-تمظهراته

أ- الطبقة الحاكمة

ب-الشعب

3-تجليات البعد السياسي في الأدب العربي القديم

أ-في الشعر

ب- في النّثر

4-نبذة عن حياة الجاحظ و السياقات التاريخية للبيئة العباسية

أ-مولده

ب- الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للعصر العباسي

الفصل الأول: تجليات صورة الطبقة الحاكمة في كتاب البخلاء

1-الجوانب الايجابية

2-الجوانب السلبية

الفصل الثاني: تجليات صورة الطبقة المحكومة في كتاب البخلاء

1-الجوانب الايجابية

2-الجوانب السلبية

خاتمة

مقدمـة

مقدمـة:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نزل أحسن الحديث وأوضح البيان، وأجل الكلام والقول الفصل الذي ليس هو بالهزل، من تبعه وجد الهدى إلى الصّراط المستقيم ومن زاغ عنه ظل وأظلّ عن سواء السّبيل والصّلاة والسّلام على محمّد الهادي الأمين أوتي القرآن ومثله من جوامع الكلم، وعلى آله وأتباعه الذين أصبحوا منارة للعلم والأدب والدّين أما بعد:

لقد أصبح العرب بفضل الله وقرآنه أمّة البيان، إذ غدوا يشتقون الطريق نحو بناء الحضارة بعد أن كانوا مهمشين، فكونوا لهم أدبا ينظر إليه على أنّه من أهم الآداب بين ألأمم.

شهد هذا الأدب في العصر العباسي تطورا كبيرا وبلغ مبلغا عظيم وخصوصا في القرن الثالث منه، بفضل التلاقح الحضاري الذي حصل بين ما هو ناجز جديد، والوافد إليهم من الحضارات القائمة أو الغابرة، ومن الذين لمعت أسمائهم في تلك الفترة "أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (195هـ-255هـ) المعتزلي صاحب المصنفات الكثيرة في مختلف المجالات، ومن بينها كتابه المشهور "البخلاء" الذي يروي فيه قصص البخلاء في عصره وخصوصا في مدينة البصرة وخراسان بأسلوب شيّق يجمع بين الفكاهة والفائدة.

يعدّ الجاحظ حالة فريدة في العصر العباسي بثقافته وأدبه وكتاباته المتنوعة، فقد أغنى الأدب العربي بما أوتي من المقدرة الكتابية بملاحظاته الدقيقة وقراءاته العميقة، فكتاباته تجمع بين تبحر العالم وإحساس الأدبي، فقد تفوق بين الميدانين و سبق اصحابه فيهما كان عالما أدبيا جمع بين صرامة العالم وروح الأديب الخفيف، لا تخلوا روحه الأدبية من دقة العالم المطّلع على خفايا الأمور، ومن أبرع ما خلّفه كتابه "البخلاء" الذي أبهر النّاس من ذوي الميول المختلفة والمشارب المتعددة، وأصبح مرتعا للنظرات المتباعدة وعينا فياضة زاخرة تروي من قصد إليه طالبا المعرفة أو باحثا عن فكاهة أو متعة وأخذت أقلام الكتّاب تقلبه من الاتجاهات المتعدّدة فكانت جملة من البحوث والدراسات التي تناولت هذا الكتاب من أطرافه المترامية الواسعة، لهذا قمنا بخوض عباب هذه البحوث والدّراسات بالتّحليل

والمناقشة فنكمّل معهم ما فاتهم سواء بالاستحسان أو التّوضيح أو الاقتراح ومن هنا لم تتردّد في اختيار كتاب البخلاء للجاحظوما كتب عنه موضوعاً لبحثنا المعنون "**صورة المجتمع السياسي في كتاب البخلاء**" بأنّ هذا الميدان واسع، ولا ربّما لا تكفي مدّة الدّراسة للإحاطة به.

إنّ كتاب البخلاء واضح في أهدافه ومراميه، في توجيه إلى فئة تجلية غامض في إشاراته التي تحمل أكثر من غرض، وأنّ كثرة البحوث التي تناولته، والاختلافات فيه ليلاً على أنّه نصّ مفتوح، وأنّ الباب مازال مشرّعاً للمزيد من البحث، واستيضاح المزايا المختلفة له وهذا الموضوع لسنا أوّل من خاض فيه فقد عثرنا على بعض جوانبه في دراسات بعض النّقاد والباحثين ولعلّ أقرب دراسة هي تلك التي قام بها "**الأديب علاء الدّين رمضان السيد**" في "صورة المجتمع العبّاسي في كتاب البخلاء" والأديب "**جميل جبر**" في كتابه "الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد".

ولعلّ حبّ الإطّلاع والتّثقّف في حضارة عربية إسلامية هو ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع وهذا البحث للتّعرّف أكثر على لبّ التّراث العربي، لهذا فقد نظمت البحث في إطار خطّة كانت بدايتها مقدّمة، مدخل في ثلاث مباحث تكلّمتُ في المبحث الأوّل عن مفهوم المجتمع السّياسي وتمظهراته وتحدّثت في المبحث الثّاني عن البعد السّياسي في الأدب العربي القديم بشقّيه: الشّعر والنّثر أمّا المبحث الثّالث تحدّثت فيه عن الجاحظ ومجتمعه بكل حيثياته الاجتماعية والثّقافية مع التّركيز خاصة على الحيثيات السياسية وكان الفصل الأوّل تطبيقياً مخصّصاً للحديث عن صورة الطّبقة الحاكمة في كتاب البخلاء وذلك في مبحثين تضمّن المبحث الأوّل أهمّ الجوانب الإيجابية للطّبقة الحاكمة، أمّا المبحث الثاني فكانت الجوانب السّلبية.

لنمرّ إلى الفصل الثاني الذي تضمّن الطّبقة المحكومة في كتاب البخلاء وضمّ مبحثين: المبحث الأوّل ركّزنا فيه عن الجوانب الإيجابية للطّبقة المحكومة والمبحث تطرّقنا فيه إلى الجوانب السّلبية وكانت بعد ذلك خاتمة لاستعراض النّتائج المتوصّل إليها في المبحث.

معتمدين على المنهج التحليلي و التّاريخي هذا الأخير القائم على دراسة المجتمعات ووصفها في كتاب البخلاء وهذا ما تحقق في البحث من خلال هذا المنهج.

أمّا فيما يتعلّق بمصادر ومراجع البحث فإنّي حاولت الجمع بين المصادر القديمة والمراجع الحديثة فمن القديمة مثلاً: **كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ** و **كتاب البخلاء للجاحظ** كما كانت دراسات **محمّد علي زكي في البلاغة الشّعرية** في كتاب "**البيان والتّبيين للجاحظ**" ودراسة **عبد الحليم محمّد حسين** في كتابه "**السّخرية في أدب الجاحظ**" بالإضافة إلى دراسة **عزّت السّيد أحمد** في كتابه "**فلسفة الأخلاق عند الجاحظ**"، من أبرز المراجع الحديثة المعتمدة في البحث.

ولم تواجهنا تلك الصّعوبات والمشاكل التّي كنّا نتخوّف ونتوجّس منها، وهذا عائد بالأساس إلى التّهيئة الدّينية والنّفسية التي تلقّيناها من طرف الأستاذ المشرف، حيث كانت ثقته بنا وتشجيعه المتواصل وحرصه علينا عائقاً أمام تسلسل المتاعب والمشاكل إلى عقولنا وقلوبنا.

لا يسعنا في الأخير سوى الوقوف من خلال هذا البحث وقفة تواضع أمام العلم، فنتمنّى أن نكون قد أخذنا وأثرينا مكتبة الدّراسات الأدبية بهذا البحث المتواضع، كما نتقدّم بجزيل الشّكر والثّناء لكل من ساعدنا في هذا البحث والشّكر الخاص موجّه وموصول إلى الأستاذ المشرف "**طارق زيناي**" أعانه اللّه ووفّقه وسدّد خطاه.

مدخل

تحديد المفاهيم والمصطلحات

تحديد المفاهيم والمصطلحات

1-مفهوم المجتمع السياسي وتمظهراته.

2- تجليات البعد السياسي في الأدب العربي القديم.

3-نبذة عن حياة الجاحظ والسياقات التاريخية للبيئة العباسية.

1-مفهوم المجتمع السّياسي:

أ-المجتمع:

هو مجموعة من الأفراد، القاطنين في رقعة جغرافية محدّدة والذين تجمع بينهم روابط معيّنة، تثبتها قواعد وضوابط ومؤسّسات اجتماعية، ويكفلها القانون[1].

ب-السياسة

لغة: بكسر السّين، مصدر سَاسَ يسُوسُ الذّوَابَ: راضها وعُني بها، فيقال: (سَاسَ) الرَّعيَّة يَسُوسُها (سِيَاسَة) بالكسر، و(السّوسُ): دُودٌ يقع في الصّوف والطّعام، و(سَاسَ) الطّعام يَسَاسُ (سوساً) بوزن قِوْلٍ، إذا وقع فيه السُّوس، وكذا (أَسَاسَ) الطعام (وسوَّسَ تسويساً)[2]

ومن معاني السياسة اللغوية، ما يأتي:

- السَّوْسُ: الرياسة، يقال: ساسوهم سوساً، وإذا رَأَسُوهُ قيل: سوَّسوه وأساسوه.
- سَاسَ الامرسياسة: قام به، ورجل ساسٌ من قوم ساسة وسُوّاس.
- سَوَّسَهُ القومُ، جعلوه يَسُوسُهُمْ، ويقال: سُوّسَ فلان أمر بني فلان، أي كُلِّفَ بسياستهم[3]
- السّياسةُ: القيام على الشيء بما يصلحه، والسّياسةُ: فعل السائس، يقال: هو يسُوسُ الدَّوابَّ، إذا قام عليها وراضها، والوالي يَسُوسُ رعيّته.

أبو زيد: سَوَّسَ فلان لفلان أمرًا فركبه، كما يقول تسوّل له وزيَّن له.

---

[1]- انظر : إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية(عربي-انجليزي) د.بلد، د.ط د.ت، ص374

[2]-الإمام محمد بن أحمد أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، د،ط، 1986م ص 135

[3]- مجيد محمود أبو حجير: المرأة والحقوق السياسية في الإسلام، مكتبة الرشيد، الرياض، ط1، سنة 1997 ص 15، 16

وقال غيره سوس له امرا اي رفضه وذلله[1]

*سُسْتُ الرّعية سياسة: أمرتها ونهيتها[2]

اصطلاحا:

وردت تعاريف اصطلاحية للسّياسة عند الفقهاء القدامى وغيرهم، والعلماء المعاصرين، وهي قيام من له السلطة العامة بتدبير شؤون الرّعية والدولة، بما يصلح حالهما وفقاً لما جاء به الشرع، أو موافقة له بمقتضى النظر العقلي، إن لم ينطق به شرع[3]

وفي مفهوم آخر للسياسية فهي طريقة يمكننا من خلالها أن نفهم وننظم شؤوننا الاجتماعية، وهي الوسائل التي يستطيع من خلالها بعض الأفراد والجماعات السيطرة على الوضع أكثر من الآخرين، وهو مفهوم نستخدمه كجزء من النماذج والأطر الذهنية التي تفسر من خلالها أو نحاول أن نفهم العالم من حولنا[4]

ومن خلال مفهومي المجتمع والسياسة استطعنا الوصول إلى مفهوم عام للمجتمع السياسي، وهو ذلك الجزء من المجتمع الذي يجعل من الشأن العام محور اهتمامه، من حيث أنه يسعى إلى امتلاك السلطة التنفيذية بغية تطبيق برنامج شامل يعبر عن إرادة جماعات من الناس، داخل وجود اجتماعي معلوم، توجد بينهما المصالح المشتركة وتجتمع حول برنامج سياسي–اجتماعي–اقتصادي–ثقافي شامل.

وهو ليس في نهاية الأمر شيئا آخر سوى مجموع الأحزاب السياسية داخل المجتمع الواحد في فترة تاريخية محددة.

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، سنة 1990، ص108

[2]– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الفكر. بيروت، د.ط، د.ت، ص222

[3]–انظر : مجيد محمود ابو حجير، مرجع سابق ذكره، ص22

[4]–انظر : إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمطصطلحات السياسية(عربي–انجليزي) د.بلد، د.ط، د.ت ص247

2-تمظهراته:

أ- الطبقة الحاكمة:

يشير مصطلح الطبقة الحاكمة إلى طبقة اجتماعية من مجتمع معين، وهي الطبقة التي تقوم بتحديد ووضع السياسة لهذا المجتمع من خلال فرض أن هناك طبقة واحدة معينة في مجتمع ما، وهي الطبقة أو الصفوة أو النخبة التي تمارس الحكم في كافة المجتمعات، وقوتها ترجع إلى الطبيعة التنظيمية العالية التي تميزها، وهناك طبقة متوسطة وغالبا ما تكون طبقة المثقفين والموظفين في المجتمعات المختلفة أي أعضاء الإدارة الحكومية، وهي الطبقة المهيمنة التي تسيطر على الحكم وعلى القيادة وعلى مؤسسات اتخاذ القرار في دولة ما: الطبقة البرجوازية ولها القدرة على السيطرة على الأمور لخدمة مصالحها[1].

ب-الشعب:

الشّعبُ: القبيلة العظيمة وقيل: الحيّ العظيم، يتشعّبُ من القبيلة وقيل: هو القبيلة نفسها، والجمع شعوب.

والشّعب: أو القبائل الذين ينتسبون إليه أي يجمعهم ويضمهم وفي التنزيل:" وجعلنَاكُم شعوبًا وقبائل لتعَارفوا" الحجرات: 13.

قال ابن عباس رضي الله عنه، في ذلك: الشّعوب الجمّاعُ، والقبائلُ البطون، بطون العرب، والشّعب ما تشّعبَ من قبائل العرب والعجم وكل جيل شَعبٌ[2].

---

[1]- انظر : إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية(عربي-انجليزي) د.بلد، د.ط، د.ت، ص276

[2]- ابن منظور: لسان العرب، ضبط نصه خالد رشيد القاضي، دار صلح، أيسوفت، بيرون-لبنان، ج1، ط1. سنة 2006م، ص 112-113

والشعب هم مجموعة من الأفراد تتميز عن باقي بميزة أو أكثر مثل الإقامة في منطقة معينة أو السلالة أو المهنة أو العقيدة، ويشكلون أساس لقيام كيان سياسي واحد وهو الدولة[1].

3-تجليات البعد السياسي في الأدب العربي القديم:

الأدب العربي هو جملة الآثار الجميلة المكتوبة باللغة العربية سواء أكان كاتبها من أصل عربي أو غير عربي، وأيّا كانت البلاد التي ظهر فيها، وقد نشأ الأدب العربي في شبه الجزيرة العربية حيث نشأت اللّغة، ونشأ بين واحات النّخيل أو بين كثبان الرّمل، كما نشأ على أكتاف الإبل والخيل، والذي نلاحظه أن نشأت الأدب كانت في قلب الجزيرة أكثر ممّا كانت في الأطراف، هذه الأخيرة كانت فيها اللّغة غير صافية وغير ثابتة الأفكار ومن ثّم فقد خفت فيها صوت الأدب خفوتا لم يبلغنا منه إي صدى.

ودارت الأيّام دورتها، وتمازجت القبائل بفعل العوامل المختلفة من تجارية ودينية وسياسية وطبيعية وغيرها، فامتداد الأدب فوق سطح البلاد العربية، ولما كان موضوع دراستنا يتعلق بالبعد السّياسي في الأدب العربي القديم شعرا ونثرا، فلنعرض الآن لهذا الغرض.

أ-في الشعر:

يمتاز الشّعر الجاهلي بكونه مقطوعات وأبيات وفاقا للحياة المضطربة، حيث يمتاز الشّعر الجاهلي بنزعة انفرادية قبلية تمتزج فيها الذّاتية بالشّخصية القبلية، فالشّاعر الجاهلي أناني تتضخم أنانيته في شخص قبيلته فينطلق بلسانها ويتكلم باسم الجماعة ولاسيما وقد أحلته شاعريته من القبيلة مركز رئاسة وقيادة وتوجيه[2]، وكان أفراد القبيلة لا يخضعون لنظام غير نظام القبلية ولا يعرفون حكومة أو مملكة في غير الأسرة والعشيرة، فكان مجتمعهم

[1]- انظر : إسماعيل عبد الفتاح الكافي، مرجع سابق ذكره، ص 258

[2] - انظر : حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت-لبنان، د.ط، 2005م، ص 41

مجتمع القبلية أو الخيمة لا مجتمع الأمّة والشّعب وكان الشّعر السّياسي سوى مدح سياسي أو فخرا أو هجاء [1].

أما في العصر الإسلامي فقد تميز الشّعر بالرّكود، فظهر شعر النّضال السياسي أو ما يعرف بشعر الأحزاب، وهو شعر تأييد وتقرير لآراء الحزب ورد لأقوال الأعداء[2]، فقد امتاز شعر الخوارج بالعقيدة والحماسة والمتانة، وامتاز شعر الشيعة بالسخط والحزن[3].

أما بالنسبة للشّعر السّياسي في العصر الأموي فهي قصائد قيلت لإحياء أو تمجيد أو دعوة لفكرة سياسية أو هو نضال عن حكم أو نظرية معينة فيه، فهو دفاع من جهة وهجوم من جهة أخرى، وكما قال شوقي ضيف:" **المديح شيء والشّعر السّياسي شيء آخر**"[4]، لأن المديح والثناء الذي يقدمه الشاعر ليس سوى طمعا بعطاء أو لتقريب منزلة.

وكان ظهور الشّعر السّياسي لما فيه النقائض لكثرة الأحزاب والنّزاعات السّياسية بين العرب أنفسهم وبين العرب والموالي، كما كثر الاضطهاد السياسي لخصوم الدولة الأموية[5] وأصبح الشّعر السّياسي في العصر العباسي، الشّعر الّذي يقال في العظماء مدحا أو رثاء للتكسب المادي والمعنوي ولاسيما وقد أصبح الشّاعر في هذا العصر بلبل القصور ونديم الملوك، وقد تنافس الأمراء في تقريب الشّعراء وتكريمهم.

وكان هدف الشّعراء دغدغة الأثرة في العظماء وقالوا في المعاني وزيفوا في العواطف وساروا على عمود الشعر في جلال وبطء وتألقوا في التعبير فأغرقوا في المعاني القديمة في جوٍّ من الزخرفة الحديثة[6].

---

[1]– انظر : حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، مرجع سابق، ص 78

[2]– انظر : المرجع نفسه، ص 42.

[3]– انظر : المرجع نفسه، ص 285.

[4]– د/ عبد العزيز عتيق: في الأدب الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، ط1، سنة 200، ص 143.

[5]– د/ عبد العزيز عتيق: في الأدب الإسلامي والأموي. مرجع سابق، ص 143

[6]– انظر : حنا الفاخوري، مرجع سابق، ص 671

ب- في النّثر:

كان النّثر موضوع خلاف شديد بين العلماء من مستشرقين وعرب، وذلك لغموض نشأته واضطراب روايته ويعتبر من أسبق أنواع الكلام في الوجود لقرب تناوله، وعدم تقيده، وضرورة استعماله وهو نوعان: مسجع إن التزم في كل فقرتين أو أكثر قافية ومرسل إن كان غير ذلك، وكان العرب ينطقون به معربا غير ملحون لقوة السليقة، وفعل الوراثة، وقلة الاختلاط بالأعاجم، اللهم إلا هيئات المنطق فقد اختلفت لأسباب طبيعية في الترقيق والتفخيم والإبدال والإمالة ولم يعن الرواة من منثورهم على كثرته إلا بما عَلَقَ بالذهن لنفاسته وبلاغته وإيجازه، كالخطابة والأقاصيص.

ويمتاز النّثر في الأدب العربي القديم بجريانه مع الطبع فليس فيه تكلف ولا زخرف ولا غلو، يسير مع أخلاق البدوي وبيئته، فهو قوي اللفظ متين التركيب، قصير الجملة، موجز الأسلوب، قريب الإشارة، قليل الاستعارة، سطحي الفكرة.

3-1- في العصر الجاهلي:

أ/ الخطابة:

الخطابة الجاهلية هي خطابة شعب بدائي يحتفل بالمظاهر والحركات والنبرات الصوتية ويحاول الإقناع عن طريق التأثير العاطفي، وتعتبر الخطابة مظهرا من مظاهر الحرية والفروسية تحتاج إلى ذلاقة اللسان ونصاعة البيان وأناقة اللهجة[1]، فهي كالشعر لسان دفاع عن القوم والتحريض على القتال ونصرة الضعيف، ورسالة الملوك والأمراء التي يحافظون ببلاغتها على سلطانهم ونفوذهم وكلمة الخبرة والعبرة إلى الناس نورا وهديا، وكان الخطيب زعيم قومه ومن المعروف أن العرب كانوا أميين في أكثرهم ذوي غزوات متواصلة، بعيدين

[1]- انظر : أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا، دار نهضة مصر، الفالجة، القاهرة، ص 19

عن أساليب الطباعة والصحافة، كانت الخطابة أسهل الطرق إلى إثارتهم ونشر الدعوة فيهم وإقناعهم، فهي اندفاع فيضي دعت إليه البيئة وما زادها شيوعا توافر العوامل والدواعي توافر العوامل والدواعي وأصبح الخطيب سيدا في قومه، يأمر فيطاع، ويدعو فيجاب، وفضلا على ذلك فان حياة الصحراء وما تقتضيه من بطولات وما تدعوا إليه من فروسية، وتنازع البقاء وما يتدرج إليه من غزو وقتال، والعصبية القبلية وما تحمل عليه من مفاخرات ومنافرات ... كل ذلك كان مسرح نشاط للخطابة[1].

ويرى المستشرق "**نالينو**":" أن تقدير العرب للخطباء مرتبط بنظامهم السّياسي القائم على الحرية ونوع من مجلس الشورىّ"، فهي إن صح القول وسيلة دفاع أو صلح وسلام[2]

ب/القصص:

لاشك أنه كان في الجاهلية معلمون يعلمون أخبار الأولين وقصص التاريخ، إذا استطاعوا أن يثبتوا لبعض القبائل الجاهلية كتبا تضمنت مجموعات شعرية لشعرائها ثم بعض الأخبار والنسب والقصص والأحاديث مما يتصل بالشاعر نفسه أو ببعض أفراد قبيلته[3].

فهذا الفن "القصص" يوضح شيئا من الصلات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والروم وتروي كثير مما يقع بين العرب الحطانيين العدنانيين، وبين العدنانيين أنفسهم من أسباب النزاع، بل إنها سبيل لفهم ما وقع بين العرب بعد الإسلام من حروب بين القبائل، ثم إن هذا الفن في أسلوبه الفني مرآة صافية لأحوال العرب وعاداتهم وأسلوب الحياة الدائرة بينهم وشأنهم في الحرب والسلم، والاجتماع والفرقة، والفداء والاسر والنجعةوالاستقرار، وهو أيضا مرآة صادقة تظهر فيها فضائلهم وشيمهم: كالدفاع عن الحريم، الوفاء بالعهد،

[1]– انظر : حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، مرجع سابق، ص 115–116.

[2]– المرجع نفسه، ص 116.

[3]– انظر : نفسه، ص120.

والانتصار للعشيرة وحماية الجار، والصبر في القتال والصدق عند اللقاء وغير هذا مما تراه واضحا في تلك الأيام[1].

3-2- في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي:

الخطابة:

ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وكان ظهوره خاتمة العهد الجاهلي، ولكنه توجه إلى عقلية جاهلية يعالجها ويلين تحجرها، وتوجه إلى عادات وتقاليد يعمل على تبديلها أو تقويمها، وهكذا كان ظهور الدين الجديد ثورة اجتماعية وفكرية فظهرت الخطابة وازدهرت في العصر الإسلامي ازدهارا شديدا لتوافر عواملها وشدة الحاجة إليها، فالعهد عهد صراع فكري ثم صراع سياسي[2]، ومن العوامل التي ساعدت على بلوغ الخطابة غاية كمالها هو ظهور الإسلام بالدعوة العظمى وهي الدعوة إلى الإيمان بوجود الله جل وعلا، وبانقلاب الأوضاع الفكرية والاجتماعية، انقلبت فكرة السياسة وأصبح النظام العصبي شرائع ودساتير تتناول الجماعة الإسلامية كلا وأجزاءً، وتخطط مناهج السلوك في ظل السلطة القائمة.

ومع ذلك كله فقد لبثت العصبية الجاهلية متأصلة بنفوس القوم تنازع منازعة البقاء وتستعين بالخطابة مدا وجزرا، في عناد ظاهر وصلابة عنيفة، فالعهد عهد اصطراع ولا بد فيه من خطابة النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين يدعوهم فيها إلى القتال وكان لهذه الخطابة الحربية أثر فعال في النفوس[3].

وجملة القول أن ليس في عصور اللغة عصر زها بالخطابة وحفل بالخطباء كهذا العصر لانصراف العرب عن الشعر إليها، واعتمادهم في الدين والسياسية.

---

[1]- انظر : حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، مرجع سابق، ص 121.

[2]- انظر : المرجع نفسه، ص 33

[3]- انظر : نفسه، ص 337.

واصلت الخطابة سيرها في طريق الازدهار حتى كان العهد الأموي الأوج السياسي وكان الخلاف قد وقع شديدا في شأن الخلافة وانقسم الناس فرقًا وأحزابًا فاضطربت الحال وتأزّنت نيران الفتن، وكانت الخطابة أمضى سلاح في ميادين الكفاح وإلى جانب الحركات السياسية ظهرت في العالم العربي فرق فكرية ومذاهب، ما لبثت أن عانت التجربة السياسية العامة والخاصة وكان لكل فرقة دعاة ومبشرون يستعينون بالخطابة لنشر الدعوة والدفاع عنها، ويمكننا القول أن الخطابة الأموية سياسية بالدرجة الأولى، فكان للحزب الأموي خطباؤه يدعون إلى طاعته ويعلنون حقه في الخلافة، ويناهضون مناوئيه، ويهددون الخارجين والمارقين ومن أشهر هؤلاء معادية بن أبي سفيان والحجاج بن يوسف[1].

3-3- في العصر العباسي:

واصل النثر العباسي ما لمسناه من فنون وأساليب في آخر العهد الأموي وراح ينمو في ظل الحضارة الجديدة، متخطيا القيود التي وقف عليها الشعر، فظهرت فيه أثر المدنية العباسية والتفكير العباسي أكثر مما ظهرت في الشعر، وكان للخطابة في صدر هذا العصر مكانة في النفوس وسلطان على القلوب، باعتماد القوم عليها في توطيد الملك، وتحميس الجند، واستقبال الوفود[2]، ومن أكبر دواعي الخطابة في هذا العصر روح العصبية والحزبية، ففي صدر العهد العباسي ظلت أسباب الخطابة قوية لما جرى من انقلابات خطيرة وما ظهر من دعوات مذهبية حادة، وثورات اجتماعية عنيفة، ولم يكن اختلاط العرب بالأجانب بعد شديد الأثر على الألسنة فكان للخطابة سبب كل ذلك شأن يذكر، فتعددت موضوعاتها وتشعبت مناحيها. ثم أخذ ظلها يتقلص عندما استحكم الأمر لبني العباس وأصبح الفضل للسيف والسلطان لا للسان، وعندما خبت نار الأحزاب والثورات وضعفت الفصاحة العربية

1- انظر : حنا الفاخوري: الجامع في التاريخ الأدب العربي القديم، مرجع سابق، ص258.

2- انظر : أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية و العليا، ص 176

أدّى ذلك إلى ضعف الخطابة شيئا فشيئًا وذلك لضعف الدواعي إليها وضعف القدرة عليها وحلت محلها الكتابة في قمع الأهواء وردع الأعداء، وإطفاء الفتن، وتأليف القلوب[1].

بالإضافة إلى أن في العصر العباسي الأول فقد أدت الرسائل دورا بارزا في تصوير الصّراع السّياسي الناشب ومواكبة الأحداث إذ ازدهرت كتابة الرّسائل السّياسية ازدهارا كبيرا، وكان للتحول السّياسي الكبير وما رافقه من أحداث، وكذلك ما تلاه من فتن وثورات، وتطور نظام الدولة، والارتقاء الحضاري والانفتاح على الثقافات الأخرى، كان لذلك كله النصيب الأوفى في نهضة التّرسل السّياسي، وكان للرسائل عدد غفير في ذلك العصر لارتباطها بالأحداث السياسية وبالحروب والفتوحات وكان لكل حزب سياسي رسائله.

والحق أن الرّسائل السّياسية تشكل مادة من مواد التاريخ الإسلامي مع الأخذ بالحسبان أن كثيرا من الحوادث التي تسردها بعض الرسائل هي محاكاة الواقع، لذلك فإن للرّسائل قيمة تاريخية كبيرة، لصلتها بواقع مجتمعها وموضوعات الحياة فيه، وما كانت الدولة تمر به من أحداث جسام، كالصراع على الحكم والسلطان، وإدارة شؤون الدولة وتصريف أعمالها، وإدارة شؤون الدولة وتصريف أعمالها، وأوضاع السّلم والحرب، وسياسة الولاة والعمّال وغير ذلك[2].

1- انظر : حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، مرجع سابق ص 528

2- انظر : قحطان صالح الفلاح، التّرسل السياسي في العصر العباسي الأول، مجلة جذور، النادي الأدب الثقافي، جدة، ج23، مج10، مارس 2008، ص3433

4-نبذة عن حياة الجاحظ و السياقات التاريخية للبيئة العباسية:

أ-مولده:

1-صورة عن عصره:

تقضي دراسة الجاحظ القيام بجولة تاريخية مقتضية نرسم فيها صورة العصر العباسي الذي ولد فيه الجاحظ.

لقد عُمّرت الدولة العباسية خمسة قرون، وانتهت بسقوط العاصمة بغداد على يد هولاكو سنة (656هـ-1258م) [1].

وساست الدولة العباسية العالم، سياسة ممزوجة بالدين والحكمة، فمن كان تقيا ورعا صالحا أطاعها تدينا، ومن كان غير ذلك أطاعها رهبة.

أول خلفائها أبو العباس عبد الله الملقب، حكم قرابة أربع سنوات وتولى الخلافة سنة (132هـ-750م)، بعد وفاته سنة (136هـ-745م)، خلفه أخوه أبو جعفر عبد الله الملقب بالمنصور سنة (136هـ-754م) ويعتبر المؤسس الحقيقي للأسرة العباسية، نقل الخلافة من الهاشمية إلى بغداد التي أشرف على بنائها بنفسه[2].

توفي المنصور سنة(158هـ-775م) وهو في طريقه إلى الحج بعد أن كان قد عهد لابنه المهدي بولاية العهد إلى أن حكمها المعتصم وتوالت الانتصارات العسكرية وظلت الدولة العباسية في قوة وازدهار.

---

[1]- انظر : د.سعد زغلول عبد الحميد : التاريخ العباسي والأندلسي، مكتب كريدية إخوان، بيروت، سنة 1976 ص 56

[2]- انظر : محمد علي زكي صباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، إشراف ومراجعة: د.ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، سنة 1998، ص13-16

وهكذا عاصر الجاحظ اثني عشر من خلفاء بني العباس، حيث كان ميلاده متزامنا مع ميلاد النهضة السياسية والفكرية والأدبية للعصر العباسي الذي يُعدّ عصرا ذهبيا[1].

2-سيرته وحياته:

تقع حياة الجاحظ في عهدين متميزين : عهد بصري وعهد بغدادي، في العهد الأول استقبل الحياة وأسبابها، وفي العهد الثاني تألق في العالمين: الأدبي والعلمي.

وكان الأول عهد وتحصيل ومراقبة، أما الثاني فكان عهد إنتاج وشهرة، بعد أن يرزت شخصيته[2].

والبصرة مدينة خالدة في تاريخ الفكر الإسلامي والحضارة الإنسانية.

" والجاحظ هو عمر بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ، لقب" بالجاحظ" لجحوظه وهو لقب لم يستحسنه، وإنما كان يحب أن يدعى باسم" عمرو"، يتصل نسبه بكنانة بن خزيمة، كما يقول "البلغي" و"ابن خلكان" فهو عربي أصيل و" ياقوت الحموي" يرجعه إلى أصول غير عربية، وأنه كناني بالولاء، وأن جده قرارة كان يعمل حمالا عند مولاه أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني، ومن ثم تضاربت الآراء بشأن أصله"[3].

وفي تعريف له أيضا" هو عالم العربية الجليل"عمر بن محبوب" ويكنى "أبو عثمان" وشهرته " الجاحظ" ولد بالبصرة عام ستين ومائة للهجرة النبوية الكريمة (160هـ)، والذي

---

[1]- انظر : محمد علي زكي صباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، مرجع سابق، ص 17،18

[2]- انظر : محمد علي زكي صباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيانو التبيين للجاحظ، إشراف ومراجعة د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، سنة 1998، ص 23

[3]- انظر : زهية عز الدين: الأنساق الثقافية في بخلاء الجاحظ، مذكرة معدة لاستكمال لمتطلبات شهادة الماستر، المركز الجامعي ميلة، سنة 2013-2014، ص 21

يوافق سنة ستة وسبعين وسبعمائة للميلاد (776م). والبصرة يومذلك معهد العلم، ومنتدى الأدب ومركز الإشعاع الثقافي في العالم الإسلامي أجمع"[1].

وأيضا: هو أبو عثمان عمرو بن بحر محبوب الكناني التميمي، المعروف "**بالجاحظ**" البصري، العالم المشهور صاحب التصانيف في كل فن، له مقالة في أصول الدين وإليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة وكان تلميذ " أبي إسحاق ابراهيم بن يسار البلخي" المعروف" بالنَّظَام"، المتكلم المشهور وهو خال"يموت بن المزرع" ومن أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب" المحاسن والأضداد"، وقيل له " الجاحظ" لأن عينيه كانت جاحظتين والحجوظ النُتُوء وكان يقال له أيضا الحدقي"[2].

ومهما يكن" فالجاحظ" عربي الأصل، وقف إلى جانب العرب ورد على الشعوبية، ولو كان الأمر كما ذكر ياقوت وأمثاله لرأيناه يناهض العرب ويخطب في حبال الموالي.

ولقد كان " الجاحظ" عالما محيطا بمعارف عصره وإماما من أئمة الكلام وزعيما من زعماء المعتزلة ورواية من رواة اللغة العربية وآدابها، وأديبا يكتب عن رفاهة الحس وخصوبة في الخيال وقوة في الملاحظة[3].

3-مولده:

ولد " الجاحظ" بالبصرة في منتصف القرن الثاني للهجرة، قبل سنة 150هـ، وقبل سنة 160هـ، وقد أثر عنه قوله:" أنا أسنُّ من أبي نواس سنة ولدت في أول سنة 150هـ وولد آخرها" أما وفاته فكانت سنة 255هـ في خلافة المعتز بالله.

---

[1]- انظر : علي أحمد الخطيب: دراسات في مصادر الأدب العربي، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، ط1، سنة 2009، ص 27

[2]- انظر : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري: المحاسن والأضداد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، ص03

[3]- انظر : عبد الحليم محمد حسين: السخرية في أدب الجاحظ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، طرابلس، ط1، سنة 1988، ص6

وتعد هذه الفترة من أزهى عصور الأدب العربي، إذ شهدت ظهور أقوى الخلفاء العباسيين من أمثال الرشيد والمأمون والمعتصم، ولم يعكر صفوها سوى الصراع الذي وقع بين " الأمين" و"المأمون" وهو في الأصل شراع بين العرب والعجم، أطلت فيه الشعوبية البغيظة[1]

4-نشأته ومقامه:

نشأ " الجاحظ" بالبصرة في كنف أبوين فقيرين، ولم يلبث أن فقد والده، وهو بعد طفل صغير، اضطر أن يكسب رزقه في حداثته، فكان يبيع الخبز والسمك وتعلم القراءة والكتابة في أحد الكتاتيب، ولما شبَّ وتفتح ذهنه أقبل على العلم،وتلقف الفصاحة شفاها من سوق المربد ومن مسجد البصرة، حيث ظهرت طائفة من العلماء والأدباء عُرفُوا بالمسجديين، وكان يطلب العلم في دكاكين الوراقين التي كان يكتريها وقد يبيت فيها للنظر في تراث الأوائل وكان لا يقع في يده الكتاب إلا وقرأه من أوله إلى آخره[2].

وكان يقول في مرضه:" **اصطلحت على جسدي الأضداد إن أكلت باردا أخد برجلي وإن أكلت حارا أخد برأسي**"، وكان يقول:" **أنا من جانبي الأيسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت به ومن جانبي الأيمن منقرس فلو مر به الذباب لألمت وبي حصاة لا ينسرح البول معها وأشدها على ست وتسعون سنة**" .

وكان ينشد:[3]

أترجو أن تكون وأنت شيخ ** كما قد كنت أيام الشباب**

لقد كذبتك نفسك لبس ثوب ** دريس كالحديد من الثياب**

---

[1]- انظر : سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، النثر، دار المسيرة، عمان-الأردن، ط1، سنة 2011، ص 84

[2]- انظر : المرجع نفسه، ص ن

[3]- أبو عثمان عمرو بن بحر: التربيع والتدوير، تحقيق شارل بلات، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، د،ط، سنة 1995، ص5

وقد أصيب "الجاحظ" بالفالج، ثم النقرس، فعاد إلى البصرة مسقط رأسه، حيث زاره عدد من العلماء والأدباء وقد لازمه الداء حتى وفاته، كما هناك من قال بأنه عندما كان يقرأ انهالت عليه الكتب، وبذلك قضت عليه[1].

ومن الملاحظ أنه نشأ عصاميا، فلم يعتمد إلا على نفسه وهو ذاته فقد ذاق مرّ العيش وشطف الحياة وقسوتها، وخصوصا بعد وفاة والده، وتحمله للمسؤولية صغيرا حتى جاءت حياته " سلسلة متصلة الحلقات من الكد والخيبة والحرمان والعناء"، وكان في حاجة ماسة على أن يكون شخصية مرموقة تعويضا عن ظروفه الصعبة التي عاشها ساعده في ذلك حبه للعلم واجتهاده وسعة إطلاعه، وعمق ثقافته، فلقد كان " حاد الذكاء" قوي الحفظ" واسع الرواية" بعيد مدى الذكاء، ساطع البرهان، سريع البديهة، حلو الفكاهة، كثير القراءة".

ونظرا لهذه النشأة العصامية، فقد كره الوساطة والمحاباة، فقد قال :" سألني بعضهم كتابا بالوصية إلى بعض أصحابي، فكتبت له رقعة وختمتها، فلما خرج الرجل من عندي فضها فإذا فيها" **كتابي إليك مع من لا أعرفه ولا أوجب حقه، فإن قضيت حاجته لم أحمدك، وإن رددته لم أذمك**" [2]، وكانت وفاته سنة (255هـ-868م) والذي يعد أصدق شاهد على عصره.

5-شيوخه:

تلقى "الجاحظ" تعليمه على يد علماء كانوا نجوما في اللغة والأدب يذكر " أحمد أمين" في كتابه "فيض الخاطر" أنه كان في فجر عهد الجاحظ ثلاثة نجوم لامعة في اللغة والأدب وغيرهم"الأصمعي" "أبو عبيدة" و"أبو يزيد الأنصاري" وكان((هؤلاء الثلاثة هم مثقفوا "الجاحظ"و قد تأثر بهم إلى جد كبير ولعل روح الأصمعي الفكهة المضحكة، شتت على

[1]- انظر : سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، النثر، مرجع سبق ذكره ،ص 86

[2]- بركات محمد مراد : الجاحظ الفيلسوف الساخر والأديب الناقد، مجلة المسار، كلية التربية، العراق، العدد 35، ص79

تلميذه " الجاحظ" فكاهة ودعابة، وقد توسع فيها بما مدته طبيعته وطبيعة عصره، وأخذ عن" عبيدة" فكره ودهائه مع سعة علمه، ولم يأخذ من " أبي يزيد" إلا علمه بغريب اللغة))[1].

وقد تلقى " الجاحظ" النحو على " أبي الحسن الأخفش"، الذي كان من أعلم الناس بطرق الكلام والجدال، وأيضا من شيوخه" حجاج بن محمد المصبحي" في الحديث كما تتلمذ " الجاحظ" على يد" الخليل بن أحمد الفراهيدي" واقتبس من علمه " وأخذ عنه النحو والعروض والأوزان الشعرية، أما أستاذه الكبير والذي ورث عنه الاتجاه الاعتزالي العقلي، فقد كان أبو إسحاق بن سيار النَّظَام" الذي كان معدودا من أذكياء المعتزلة، وذي النباهة فيم (يتوقد فصاحة من صغره، اطلع على الكثير من كتب الفلاسفة الطبيعيين والإلهيين) وقد اقتدى " الجاحظ" بأستاذه " النَّظَام"، الذي كان له دور كبير في التأثير على شخصيته، بكل أبعادها وكان " الجاحظ" وفيا لأستاذه، مخلصا له، مما كان له تأثيرات فكرية وعقائدية كبيرة عليه"[2]، وقد أثر أستاذه " النَّظَام" فيه تأثيرا انعكس على فكره وأدبه وسلوكه، حتى جاءت عبارته موجزة ودقيقة واضحة وصريحة، وهكذا لا تراه يقيم إشارة مقام عبارة، بل يعتمد على التصريح بدلا من التلميح، حتى ندرت الرمزية –تقريبا– في كتاباته وإن كان في أسلوبه التكرار والاستطراد، إلا أن عبارته شيء وأسلوبه أو منهجه في التأليف شيء آخر"[3].

أخذ الجاحظ من مشايخ في اللغة والنحو والبلاغة لذلك جاءت كتاباتهم متنوعة والذي أثر في فكره وأدبه أستاذه" النَّظَام" والذي كان له الدور الكبير في التأثير في شخصيته.

6–ثقافته:

وقد تعددت مصادر الثقافة عند "الجاحظ"، فكان الكتّاب" هو أول مصدر من مصادر ثقافته الواسعة، إذ أن الكتاتيب كانت شاسعة في عصر "الجاحظ"، فكان يتردد إليها أكابر

[1]– انظر : – بركات محمد مراد : الجاحظ الفيلسوف الساخر والأديب الناقد، مرجع سابق، ص 81

[2]– المرجع نفسه، ص 81–82

[3]– انظر : المرجع نفسه، ص 82

علماء اللغة، أمثال:" النضير بن شميل" و"أحمد اليزيدي" و" أبي زيد الأنصاري"، أحد أساتذة " الجاحظ" وكانت برامج هذه الكتاتيب تشمل القراءة والكتابة والحساب والسنن والفرائض والنحو والعروض، وأشعار العرب وأيامهم، وذلك لتجهيز الصبيبةوإعدادهم للدراسة في حلقات الجوامع، أو في المدارس المختلفة التي أنشئت في العصر العباسي[1].

ولقد كان "الجاحظ" ولوعا بطلب العلم، وكان يحب الرجوع إلى المصادر الحقيقة والمنابع الأصلية في ثقافته، فكان يأخذ من المشايخ كل في فنّه، فاللغة م على رجالها والحديث على رجاله، والاعتزال على أئمته، كما أحب "الجاحظ" الإطلاع والقراءة حبا جما، حتى قال أحدهم في حق "الجاحظ" (لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتاب والعلوم أكثر من "الجاحظ" فإنه لم يقع في يده كتابا إلا استوفي قراءته كائنا ما كان، حتى أنه يكتري دكاكين الوراقين فيبيت فيها للنظر) [2].

ومن ثم الكتاب مصدر ثالث من مصادر ثقافته، حتى قيل عنه أنه ألف" أكثر من ثلاثمائة وخمسين كتابا في مختلف فروع الثقافة"، وهو يبرهن في كتابه" الحيوان" على كثرة إطلاعه وسعة أفقه، فيبين كيف أنه تعرف على معارف واسعة، وإطلاع نادر على جميع الثقافات المعروفة لزمانه من عربية ويونانية، وعلى جميع الديانات وتعاليمها، من مازنية وزرداشية ودهرية ونصرانية وإسلامية وعلى جميع الفرق والنزعات[3].

[1]– بركات محمد مراد : الجاحظ الفيلسوف الساخر والأديب الناقد، مرجع سابق، ص 82

[2]– زهية عزالدين: الأنساق الثقافية في بخلاء الجاحظ، مذكرة معدة لاستكمال المتطلبات نيل شهادة الماستر، المركز الجامعي ميلة، سنة2013، 2014، ص27.

[3] –بركات محمد بركات: الجاحظ الفيلسوف الساخر والأديب الناقد، مجلة المسار، كلية التربية، العراق، العدد35، ص83.

7-مؤلفاته:

لقد عنى"الجاحظ" بتأليف الكتب والرسائل، فقد أحصى له "إبن النّديم" ما يزيد على مائة وسبعون كتابا، أغلبها رسائل طويلة أو قصيرة، بعضها ضاع، وبعضها وصل، وقد ساعده على كثرة التأليف تفرعه وانصرافه عن العمل الوظيفي في قصور العلماء، كذلك اتساع ثقافته وقدرته على الفهم والاستيعاب، فضلا عن عمره المديد وحياته الحافلة وانتقل، لكتابة من طور التدوين إلى طور التأليف، ووصف "ابن العميد" مؤلفات "الجاحظ" بقوله: إن كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا.[1]

تجلت قدرة "الجاحظ" في تأليف كتبه في اتساع ثقافته وكذا الرحلات التي كان يقوم بها وساعده على ذلك موهبته وذكاءه وقدرته على الفهم والاستيعاب إضافة إلى عمره المديد وحياته الحافلة بمختلف الثقافات فكتبه تنمي العقل ثم الأدب.

يعد "الجاحظ" كاتبا موسوعيا، فهو صاحب أول موسوعة عن الحيوان في التراث العربي وهو أول جامع ميداني لعناصر التراث الشعبي في عصره[2]، ومن أهم الآثار التي تركها الجاحظ من كتب ورسائل وأبحاث هي:

7-1-كتاب البخلاء:

هو أكبر الآثار التي أبقت الأيام عليها من ميراث "الجاحظ" الأدبي الخالص، ومن ذلك كانت تلك الصفة الأخيرة هي موضوع الكلام وهي أقوى صفات "الجاحظ" التي قدمنا ذكرها وأغلبَها عليها وأبرزَها في جميع آثاره، وقد يكون مرجع ذلك إلى طبيعة الفن الجميل، من شدة لصوقه بالنفس وتأشيره في الوجدان وقدرته على مغالبة تقلبات الرأي ومذاهب الحياة.

---

[1]- انظر : سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، النثر، دار المسيرة، ص87.

- انظر : المرجع نفسه، ص ن.

"ولكنه يرجع –في أمره – إلى قوة المراجع الفني، وغلبت النزعة الفنية عند "الجاحظ" حتى يمكننا القول في غير تحرج بأن تلك القوة هي التي رفعت من شأنه بين المتكلمين من المعتزلة، فجعلته عَلَمًا من أعلامهم، وإماما من أئمتهم كما يفيده كلام الشهرستاني عنه لسانهم الناطق باسمهم، الشارح لمبادئهم، بما أوتي من براعة وقدرة"[1].

7-2-كتاب البيان والتبيين:

هو من أهم كتب "الجاحظ"ن قال فيه "ابن خلدون": "وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أنّ أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: وهي أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها". فهو في هذا الكتاب يخلط، كعادته بين علوم البلاغة والأدب واللغة والمنطق، وهو مرجع أدبي وثيق، الغاية من وصفه الرد على الشعوبية بتبيان تفوق العرب في البلاغة[2].

7-3-كتاب الحيوان (سبعة أجزاء):

وهو "بحث ضخم يتناول فيه المؤلف، وهو يصف طبائع الحيوانات، شؤونًا لا علاقة لها أبدًا بعنوان الكتاب، إنّه موسوعة متنوعة تضمنت بحوثا في التعاليم الدينية، من اليهودية إلى المانوية، إلى الزرادشتية، إلى النصرانية، إلى الإسلامية، إلى الإلحادية من دهرية ووثنية، بما في هذه الديانات والوثنيات من شيع ونزعات ومذاهب، يظهر أن كتاب "الحيوان" هو آخر ما صنف بدليل أنه يذكر فيه سائر كتبه بما فيها "البخلاء"[3].

---

[1]–أبو عثمان عمرو بن بحر "الجاحظ": البخلاء، تحقيق طه الحاجري، درا المعارف القاهرة، ط5، ص18.

[2]– انظر : سلطان الزغلول: وقفة مع كتاب البيان والتبيين للجاحظ، مجلة جذور، ج31، مج 12. النادي الأدبي الثقافي بجدة، سنة2011، ص 268.

[3]– انظر : بركات محمد مراد: الجاحظ الفيلسوف الساخر والأديب الناقد، مجلة المسار، كلية التربية، العراق، العدد35 ص 15

7-4-رسالة التربيع و التدوير:

هي رسالة وضعها الجاحظ في هجاء أحمد بن عبد الوهاب وأفرغ فيها سمّة بقدر كبير ففي رسالة يتنذر بها على مهجوّه قصد تعجيزه ومعاياته مئة مسألة تناولت معظم المعضلات العلمية التي شغلت مجتمع عصره من تاريخ وفلسفة إلى كيمياء، إلى حيوان إلى نبات...[1].

ب- الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للعصر العباسي:

* العصر العباسي الأول(132هـ-232هـ/749-846م) العصر الذي عاش فيه الجاحظ:

يعد العصر العباسي العصر الذهبي الذي يخالف العصور التي قبله، والعصور التي بعده، والذي يقرأه يجد نفسه أمام عصر تميز بزمانه، وبمكانه وبروز ثقافته وحضارته بزمانه لاستيلاء العباسيين على الخلافة عام(132هـ-750م)، ومكانه لانتقال الحكم والسيطرة من الشام إلى عاصمتهم بغداد، التي لا تبتعد كثيرا عن موقع بابل القديمة والمدائن، لهذا سنحاول الحديث عن العصر العباسي.

حيث حققت الدولة الإسلامية في ظل العباسيين تقدما حضاريا كبيرا، ومن ذلك أفادت جهود الأمويين ثم زادت عليها أضعافا من ذلك تأليفا وترجمة، وصارت بغداد حاضرة العباسيين، فزخرت بالشعراء والعلماء وأهل الفن فنجد تأثرهم بالثقافة والحضارة الفارسية بارزة.

1-الحياة السياسية:

إن لاتساع المرحلة الزمنية التي شملها العصر العباسي أثره الكبير في تنوع الأدب، وغناه بمختلف الأغراض والتيارات، وقد عاشت الدولة العباسية ما يزيد على خمسة قرون تمتد من سنة 132هـ حتى سنة 656 هـ، ويرى المؤرخون أن العهد العباسي قد مرّ بعصور عديدة

[1]- بركات محمد مراد: الجاحظ الفيلسوف الساخر والأديب الناقد، مرجع سابق ، ص16

منها العصر العباسي الأول(132هـ-232هـ)، والذي نحن بصدد معرفة كيف كانت الحياة السياسية والاجتماعية في هذا العصر وما تميزت به من مختلف الظواهر وغيرها.

***بعض النظم الإدارية والسياسية:**

لقد اعتمد العباسيون على الفرس في تأسيس الدولة العباسية، وفي تدبير كثير من أمورها " ويذكر "الجاحظ" أن دولة بني العباس أعجمية خراسانية، ومن هذا المنطلق علب الطابع الفارسي على نظم الحكم السياسية والإدارية في الدولة، فاتسع العباسيون في محاكاة الدواوين من أهمها ديوان الرسائل الذي لعب دورا كبيرا في نهضة النثر لعربي"[1].

ومما ذكره الجاحظ" أن الدولة العباسية أعجمية خراسانية، فقد غلب عليها الطابع الفارسي الذي أدى دورا كبيرا في نهضة النثر العربي، وأن من الأسباب التي جعلت العصر العباسي كذلك عصرا ذهبيا، حكماه العباسيين الذين تبنوا ازدهار حضارته وثقافته – الدفاع عنه، دينا وسياسة من أمثال" أبي جعفر المنصور ومن قبله السفاح"[2].

هذا كله نتيجة للاستقرار السياسي وإدارة المنصور البعيدة عن الترف واللهو والقريبة من الجد والصرامة.

" أجل إنها صورة واضحة وجلية للحالة الاقتصادية والاجتماعية للعصر العباسي الأول فقد كان عصر ثقافة، كما كان عصر تر وقصور وضياع، وعصر مجون وفسق وضلال"[3].

فلقد كانت الحياة التي يعيشها الإنسان في ذلك العصر صورة واضحة، تعبر عن الترف والمال والمجون وغيرها.

---

[1]– انظر : ينظر: سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، النثر دار المسيرة، عمان، الأردن،ط1، 2011، ص17

[2]– انظر : سامي عابدين : في الأدب العباسي (قصر المأمون وأثره على العصر)، دار النهضة العربية، بيروت ط1، 2001، ص16-17.

[3]– انظر : سامي عابدين : في الأدب العباسي (قصر المأمون وأثره على العصر)، مرجع سابق، ص 233.

2-الحياة الاجتماعية:

لقد نالت الحياة الاجتماعية التي عاشها " الجاحظ" اهتماما كبيرا، فقد وصفها وأفاد في ذلك من عدد كبير من الألفاظ ليعتبر بها عن البيئة الجغرافية التي عاش فيها في البصرة وبغداد وكذا عن الفئات الاجتماعية وطبقاتها إلى جانب هذا كله فقد اهتم الجاحظ باللغة عند الفئات الاجتماعية في العراق في عصره، وأيا انتشار ظواهر اجتماعية كثيرة في هذا العصر منها: الشعوبية، الزندقة وغيرها"[1].

كما شهدت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي تطورا كبيرا، إذ ضمت مزيجا من الشعوب الإسلامية، " وقد أدت الأموال التي خلفه الخلفاء العباسيون إلى الترف في مناحي الحياة، وأثّر ذلك على الأدباء والشعراء وانتشر الغناء، وللجاحظ رسالة "القيان" تناول فيها نفسية القيان، وعرض فيها الفساد الذي يعود على المجتمع"[2].

إن ما ميز الحياة الاجتماعية في العصر العباسي، أنها كانت مزيجا من الشعوب الإسلامية التي ساعدت على ظهور ألفاظ مختلفة في هذه البيئة الجغرافية والتي اهتم بها "الجاحظ" وجعلها في كتاباته، ومن العوامل التي ساعدت على التمازج في العصر العباسي وجود الزمان والمكان والحكام، فقد تم اللقاء بين العربي وغيره من الفارسي والتركي ساعد هذا على انتشار حضارة جديدة وثقافة شاملة، على ذلك بنيت الحضارة وازدهرت الثقافة.

ومن الظواهر التي ظهرت في هذا العصر والتي كانت سائدة في الوسط الاجتماعي "ظاهرة الشعوبية" التي كشفت عن وجهها القبيح، حيث ارتكزت الدولة العباسية على الفرس واختلف الشعوبيون بين عالم وأديب وشاعر، فمن العلماء يوجد " أبو عبيدة اللغوي" وأصل من يهود فارس، ومن الأدباء " سها بن هارون" الذي صنف كتب في التعصب على العرب،

---

[1]- انظر : ظبية صالح الشذر : ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، دا قباء، د.ط، دت، ص 15

[2]- انظر : سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، دار النثر، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص 19-20.

ومن الشعراء " بشار بن برد" وتصدى لهذه النزعة و الشعوبية " الجاحظ"، إذ رد عليها ردا عنيفا في كتابه" البيان والتبيين"[1].

3-الحياة الثقافية:

عرفت الحياة الثقافية في العصر العباسي ما عرفته الحياة السياسية والحياة الاجتماعية من تنوع وتقدم وغنى، ولم تنفصل عن هاتين بل كانت بينهما علاقة جدلية، تتأثر كل واحدة بالأخرى تؤثر فيها.

" كانت الثقافة من أقوى العوامل في النهضة العباسية إذ أخذ الخلفاء يشجعون الحركة العلمية في مختلف نواحيها، وما يتصل بها من العلوم اللغوية والعلوم الدينية وعلم الكلام"[2]

ولقد اتسعت الثقافة العباسية بامتزاجها بالثقافات الأجنبية، وهي الثقافة اليونانية، ثم الثقافة الشرقية، وقد تأثرت الثقافة العربية بالفارسية، وكذلك تأثر الأدب العربي بالقصص التي نقلت إلى العربية مثل" كليلة ودمنة" "[3].

ولقد اتسعت الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية دوره الكبير وذلك من خلال التشجيع الذي كان يقوم به الخلفاء، فقد نتج عن ذلك عامل التأثر والتأثير بين مختلف الثقافات التي كانت سائدة في ذلك العصر، خاصة وأن العلم والفنون والأدب قد ازدهرت في زمن الدولة العباسية ازدهارا ملحوظا، بسبب الانفتاح الفكري على ثقافات وافدة وهي اليونانية والفارسية والهندية التي تلاحقت مع الثقافة مع الثقافة العربية والإسلامية.

---

[1]- انظر : سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، مرجع سابق، ص 22.

[2]- انظر : المرجع نفسه ، ص 24.

[3]- انظر: نفسه، ص ن.

الفصل الأول

تجليات صورة الطبقة الحاكمة في كتاب البخلاء

1-الجوانب الإيجابية

2-الجوانب السلبية

1-الجوانب الإيجابية:

إن الفترة الزمنية الواسعة التي عاشها الجاحظ من عمر الخلافة العباسية لهي جدير حقا بالدراسة، فالجاحظ عاصر أحدى عشر خليفة، هم: المهدي والهادي، الرشيد، والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز، ولم تكن علاقة الجاحظ سلبية برجال البلاط العباسي بل كانت علاقته وثيقة، ومن خلال الفترة الطويلة التي عاشها الجاحظ، استطاع أن يطلع علينا بآراء حول حياة المجتمع العباسي وذلك من خلال وصفه للطبقة الحاكمة حيث يعتبر الاقتصاد والتوفير من بين الإيجابيات التي تتميز بها الطبقة الحاكمة والاقتصاد هو من" القصد دفي الأمور والاعتدال الذي لا يميل إلى أحد طرفي التفريط والإفراط"[1]، يقول ابن القيم :" **الاقتصاد خلق محمود يتولد من خلقين عدل وحكمة فبالعدل يعتدل في المخ والبذل، وبالحكمة يضع كل واحد منهما موضعه الذي يليق به فيتولد من بينهما الاقتصاد، وهو وسط طرفين مذمومين كما** قال تعالى:" وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا: (سورة الإسراء الآية 29).

تتراجع عاطفة الاقتصاد في شدتها إلى درجة الانمحاء، وقد يتحول إلى حكم إيجابي فالتوفير ببساطة فعل قائم على استخدام شيء باعتدال وتفادي كل المصاريف غير الضرورية، فالمجتمع والأخلاق تثمّن هذا التوازن لأنه فعل حسن التدبير وإدارة الأموال وتنميتها واستثمارها[2].

انتشرت نوع من المجالس في الطبقة الحاكمة وهي مجالس الحشمة وكان يسودها الحياء والانقباض، ولا يستطيع أحد فيها أن يخرج عن وقاره ظرفا أو هزلا، وهذه المجالس تتميز بتنوع الجماعات والوزراء، وكان رواد تلك المجالس الكبيرة يختلفون إليها في جماعات، كل جماعة تمثل مذهبا فكريا أو اجتماعيا، يصطبغ دوره في المجلس بوحدة الاتجاه المذهبي

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب، م11، دار صبح وإديسويفت، بيروت، ط1، سنة 2006، ص162

[2]- انظر : باهية سعدو: سيمياء البخل في كتاب البخلاء للجاحظ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو، د.نشر، سنة 2010، ص15.

والنفسي ومثل هذه المجالس مهما تعددت فهي محدودة بمحدودية الطبقة القائمة عليها[1] ولعلّ نقطة بدء هذه المجالس تتمثل بتولي " المأمون" الخلافة، وبين يديه كان يجتمع المفكرون والفقهاء على اختلافهم، ويتجادلون أطراف الحوار ويتفقون ويختلفون، ويختلفون من " المأمون" ويخطئونه من غير خوف ولا تهيّب[2].

كما ساهم الوزراء والخلفاء بدور كبير في نشر العلم،" فقد كان تشجيع الخلفاء والوزراء ومن سلط سبيلهم للعلم خير عون على ازدهار العلم، وتشجيع العلماء في هذا العصر فكان الخلفاء يغدقون العطاء على ما يشتهر من العلماء أو يجيد في علم من العلوم أو فن من الفنون، بل كانوا يفرضون لهم الرواتب الشهرية، ويستدعونهم إلى دار الخلافة، ويقربونهم من مجالسهم، ويتخذون منهم مؤدبين لأبنائهم، وبخاصة المستجدبين الذين كان لهم خطوة خاصة لدى الخلفاء والوزراء"[3].

وبذلك تعددت أماكن التعلم والتعليم، حيث كانت في بداية الأمر في المساجد والكتاتيب فقد كانت المساجد والكتاتيب في هذه الفترة ساحة كبرى للعلم والعلماء يتوافد إليها الطلبة لتعلم علوم النحو والصرف والقرآن والحديث، فقد " هيّأت المساجد –بهذا الانطلاق– إلى وجود العلماء الذين نوعوا ثقافاتهم ومعارفهم تنوعا واسعا، فأخذوا من كل فن بطرف ونهلوا من العلوم والمعارف التي كانت تطرح في كل الحلقات"[4]

بالإضافة إلى تطبيق الحكام للعقوبات الشرعية التي نص عليها الدين الإسلامي، كما نشأت أنواع أخرى من العقوبات رأى أولي الأمر تطبيقها على أفراد المجتمع، ومن عقوباتهم: الجلد، وهو نفسه أنواع منها جدل القذف، والقاذف الحر يختلف حدّه عن القاذف إذا كان

---

[1]– انظر : علاء الدين رمضان السيد: صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي جدة، ج14، مج 7، سبتمبر 2003، ص 382.

[2]– انظر : عزت السيد أحمد: فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط سنة 2005 ص33

[3]– انظر: فوزي السيد عبد ربه: المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، مطبعة أبناء وهبة حسان، القاهرة د.ط، سنة 2005، ص16

[4]– انظر : المرجع نفسه، ص15

عبدا، ومنها جلد الزاني الحر، وجلد الزاني العبد، وقد كان لهذه العقوبات حضور جلي في كتاب "البخلاء" بوصفها من التقاليد الاجتماعية، ومن هذه العقوبات: الديات، والأرض بوصفها كفارات عن نوعيات محددة من الجنايات، ودية المسلم بلغت عشرة آلاف درهم[1].

كما حاول الوزراء والخلفاء والحكام العباسيين محاربة الزنادقة والزندقة في بعض معانيها هو الشك والإلحاد والزنديق هو الملحد[2].

وأول من طارد الزنادقة من خلفاء بني العباس الخليفة "المهدي"، ففي سنة 197هـ " جد المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم" وولى عمر الكلوادي لتعقبهم ومطاردتهم.

وذكر "ابن طباطبا" أن المهدي كان شديدا على أهل الإلحاد والزندقة لا تأخذه في إهلاكهم لومة لائم، وفي أحداث سنة 169هـ، يذكر ابن الأثير أنه اشتد في طلب الزنادقة وقتل منهم جماعة من بينهم: علي ابن يقطين، يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمان بن عباس الذي أقر بالزندقة[3].

وأوصى المهدي ابنه الهادي يوما– وقد قدم إليه زنديق فاستتابه فأبى أن يتوب، فضرب عنقه وأمر بصلبه– فقال:" يا بني، إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة"[4]

ومن مظاهر اهتمام المهدي بمطاردة الزنادقة وتتبعهم أنه خصص وظيفة لذلك عرف متوليها بصاحب الزنادقة، وأول من تولى هذه الوظيفة عمر الكلوادي، والظاهر أن حركة الزنادقة كانت تشكل خطرا شديدا على المجتمع الإسلامي ولأن شيوع الزندقة كان في حد

ذاته كفيلا بإضعاف الدين الإسلامي، وبالتالي إضعاف سلطان الخليفة وهدم أساس الدولة وفسخ مكونات المجتمع، ويعبر " الجاحظ" عن ذلك بقوله:" فإنما عامة من ارتاب بالإسلام

---

[1]– انظر : علاء الدين رمضان السيد، صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء، مرجع سابق ، ص 445

[2]– انظر : أحمد أمين : ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، ج1، ص138

[3]– انظر: السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، د.ط، سنة 1992، ص 149

[4]– المرجع نفسه، ص 150

إنما جاءه عن طريق الشعوبية، فإذا أبغض شيئا أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض الجزيرة، فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام إذ كانت العرب هي التي جاءته به وكانوا السلف"[1]

2/ الجوانب السلبية:

بدأت الدولة العباسية، وحولها أعداء كثيرون من أمويين وصنعائهم، ولما اختير للخلافة السفاح والمنصور غضب كثيرون من البين العباسي نفسه، وغضب شيعة علي، فكان لابد لقيام الدولة من خلفاء جادين غير لاهين، يصرفون كل وقتهم في تأسيس الدولة، واصطناع الموالين، وكبح جماح الثائرين، وسفك دم الخارجيين، حتى انتهى هذا الدور ومهدت الأمور وقتل الخارجون و استكان أمثالهم.

هدأت الدولة، فكان أمام الخلفاء وقت الفراغ والهدوء يجد فيه متسما لشيء من اللهو والترف والنعيم وهذا لما شهدته الحياة في العصر العباسي من تطور كبير[2]، حيث عم الترف في مدينة الرشيد نتيجة للبحبوحة الاقتصادية، واتبع الخلفاء الطريقة الفارسية في العيش والحكم والهندسة، فإذا موائدهم تعد على أفخر ما كانت تعد عليه موائد أسياد فارس وإذا مجالسهم تفرش وتزين على طراز مجالسهم، وإذا دواوينهم تغص بالوزراء والمستشارين والكتّاب والحجّاب على أحسن ما عرفه كسرة أنوشروان[3].

وقد أدى الاستقرار السّياسي إلى الازدهار الاقتصادي الذي ولد بدوره حب البذخ والجشع فشاع اللّهو، على أنواعه، من معاقرة الخمور إلى الرّقص والغناء إلى اللّعب واللّهو، إلى

---

[1]– انظر : السيد عبد العزيز سالم: مرجع سابق ، ص 151

[2]– انظر : أحمد أمين : ضحى الإسلام، مرجع سابق ، ص 104

[3]– انظر : جميل جبر: الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، دار صادر، بيروت، د.ط، د.س، ص20

التنعم بالفنون والجمال، إلى مخالطة الجواري الحسان[1]، ونشأ عن كل هذا فتور في ممارسة الدين وانحلال في الأخلاق واستهتار في الشؤون العامة.

كما أن هذا الترف والرخاء أدى إلى انتشار ظاهرة الرقيق، حيث " كثر الرقيق في العصر العباسي كثرة مفرطة، بسبب كثرة ما كانوا يؤسرون في الحروب وسبب انتشار تجارته"[2]

وهذا الرقيق يعد مالا، شأنه في ذلك شأن المتاع، وتجرى عليه كل العقود المالية من بيع وشراء وإجازة ورهن، حيث كان له سوق يشترى منه من شاء ويستخدمه كما يشاء.

وقد سميّ تاجر الرقيق " نَخَّسًا" وكان في الأصل يطلق على بائع الدواب، واشتهر في ذلك العصر كثير من النخاسين في بغداد، وسبب شهرتهم مالهم من جواري حسان[3].

إذن كان الرقيق وعلى الأخص الجواري مختلفات الأنواع، وقد شبّه "الجاحظ" أصناف الرقيق عند النخاسين بألوان الحمام، فشبه الصقالبة بالحمام الأبيض، وشبه الزنج بالحمام الأسود[4].

وهذا ما جعل قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء مأوى الرقيق من أمم متعددة، تختلف في الطباع والعادات واللغات، فالرشيد يمدحه مروان بن أبي حفصة بقصيدة، فيعطيه مالا ويعطيه عشرة من رقيق الروم.

وقد دفع هذا الفساد الخلقي الذي شاع في العصر العباسي نتيجة الترف والرخاء خاصة عند الطبقة البرجوازية أو طبقة الخلفاء وأبنائهم وأهل الثراء إلى انتشار الغزل المكشوف الذي لا تصان فيه كرامة الرجل والمرأة جميعا"[5]

---

[1]– انظر : سناء بوحبيلة: آراء الجاحظ النقدية من خلال البيان والتبيين، الخطابة – أنموذجا، دراسة تداولية، مذكرة لاستكمال شهادة الماستر، المركز الجامعي، ميلة، د.نشر، سنة 2012–2013م، ص 17

[2]– انظر : شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، ط12، سنة 2001، ص 56

[3]– انظر : أحمد أمين: ضحى الإسلام، مرجع سابق، ص 79–80.

[4]– انظر : المرجع نفسه: ص 87.

[5]– انظر : فوزي السيد عبد ربه: المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، مطبعة أبناء وهبة حسان، القاهرة د.ط، سنة 2005، ص 14.

توفرت في الحواضر ولاسيما بين الخاصة في بغداد ومجالس الشراب، ولم تكن تخلو منها قصور الحكام، وكان بعضهم يتدرع إلى ذلك ومهما كان من المبالغة فيما ينقلونه عن الهادي والرشيد والأمين والواثق والمتوكل، ومن جرى مجراهم من الملوك، فإجماع أكثر المؤرخين على شربهم الخمر وبلوغ بعضهم من ذلك درجة التهتك، حتى روى الأبشيهي أن الواثق كان يرقد في المكان الذي يشرب منه، ويرقد معه ندماؤه ، وكان الشراب عادة مقرونا بالغناء، ففي كل مجلس طرب عند الخاصة يحضر أولو الفن ويغنّون ويرقصون ويشرب الحاضرون ويقضون وقتهم على ذلك، ومن أمثلة ذلك ما نقله ابن الأثر عن الأمين أنه أمر يوما قيمة جوارية أن تهيئ له مائة جارية فتصعد إليه عشرا عشرا بأيديهن العيدان يغنين بصوت واحد وما كان يبذل لهم من الأموال الطائلة[1].

بالإضافة إلى أن "الجاحظ" حاول أن ينتفض من الخلفاء ومن جلساتهم وعمالهم على الأمصار، فذكر مثالبهم ونسبهم إلى الحرص والبخل والجمع والمنح فقال مشيرا إلى حرص هشام بن عبد الملك بن مروان على جمع المال: كان هشام بن عبد الملك يقول:" ضع الدّراهم على الدرهم يكون مالا"[2]

إن الرغبة في المال مقبولة، لكنها إذا اشتدت وتجاوزت الحد اخلقي والمعقول أصبحت بمعنى البخل، وهنا هو تكديس للأموال أي بمعنى جمع الشيء إلى الشيء الآخر، ليصبح متراكما دون إخراجه واستعماله لذلك فهي تقيم سلبا.

كما يظهر من خلال كتاب البخلاء وصف "الجاحظ" طبقة الحكام إلى مدى كثرة الرشوة والفساد وبذلك يفهم من كلام الجاحظ أن الزلل والفساد والرشوة والحكم بالهوى كانت من الأشياء المنتشرة في طبقة الحكام لدرجة جعلت من أهم عناصر المدح خلو الممدوح من تلك

[1]–انظر : نيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1989 ص 56–57.

[2]– علاء الدين رمضان السيد، صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء، مرجع سابق ، ص 438

الصفات، قال الجاحظ:" حدثني إبراهيم بن السندي، قال: كلن على ربح الشاذروان شيخ من أهل خراسان وكان مصححا، بعيدا من الفساد ومن الرشا، من الحكم بالهوى".[1]

ألمحنا في هذه الفقرة الى تفنن أفراد الطبقة العليا وخاصة الخلفاء والأمراء والوزراء، في ضروب السّرف في إغداق الأموال، ويقال أنه إنفاق بشكل مبالغ فيه، حيث يوضع في درجة الجنون بما هو سلوك مناف للقيم الاجتماعية والأخلاقية[2]

ولعل أكثر من تجسد لديه ذلك وبه كان المُبتدى هو الخليفة المتوكل حيث أقام حفلا بمناسبة إعذار (ختان) ابنه المعتز، فأمر وزيره الفتح بن خاقان، أن يلمس في خزائن الفرش بساطا لإيوان قصره ووجد طلبه، بساطا مُذَهَّبًا مُبَطَّنًا، يقال إنَّ التجار قوّموه بعشرة آلاف دينار، وبسط في الإيوان ووضع المتوكل في صدره سرير، مدَّ بين يديه أربعة آلاف مرفع (كرسي) مذهّبة مرصّعة بالجواهر، ومدّت الموائد وتغذى المتوكل والناس، وجلس على السّرير وأحضر الأمراء والقوّاد والندماء فأُجلسوا على مراتبهم، وجيء بأوعية مملوءة دراهم ودنانير ووزّع الغلمان الشراب، ودعوا كل من يشرب إلى أن يأخذ ثلاث حفنات أو ما حملت يداه من ذلك المال، وكان يجمعونه في أكمامهم الواسعة وكلما خلا وعاء أتى الفرّاشون بما يملؤه من الدّنانير والدّراهم حتى يعود كما كان، وكان في صحن الدّرابين يدي الإيوان أربعمئة جارية بين أيديهن أطباق الفواكه من كل صنف ونثر المتوكل على هؤلاء الجواري وخدم الدّار والحاشية عشرون مليون درهم، ونثرت زوجه "فتيحة أم المعتز" مليون درهم على المزيّن ومن كانوا بجانبه من الغلمان وبعض الجنود وقهارمة الدّار والخدم الخاصة من البيضان والسودان، مال ينفق ويبعثر من دون حساب،

ويقال إنّه أنفق على هذا الإعذار أو الختان ستة وثمانون مليونا من الدراهم[3]

---

[1]– علاء الدين رمضان السيد، صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء، مرجع سابق ، ص 444.

[2]– باهية سعدو: سيمياء البخل في كتاب البخلاء للجاحظ، مرجع سابق، ص17

[3]– انظر : د.عزت السيد أحمد: فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، سنة 2005، ص 42

الفصل الثانـي

تجليات صورة الطبقة المحكومة في كتاب البخلاء

1-الجوانب لايجابية

2-الجوانب السلبية

1-الجوانب الإيجابية:

تعد ثقافة "الجاحظ" المتنوعة وسعة ذكاءه وفطنته عوامل ساعدته على تنمية قدراته العقلية والفكرية لذلك فقد شغل النقاد والباحثين، حيث استطاع أن يؤرخ لنفسه ويعطي لها مكانة عالية وتاريخا حافلا بمختلف ألإنجازات، فأبدع وتألق في كتبه بكل ما يستطيع من أجل الكشف وإبراز مختلف صور المجتمع التي كانت سائدة في عصره وما تتضمنه.

لذلك سأتطرق لاستخراج بعض الصور من كتابه "البخلاء" ومحاولة الكشف عمّ تحتويه.

يعدّ الكرم صفة مستخلصة من كتاب البخلاء إن لم ترد في إطار سرد لقصص الكرماء بل اكتفى الجاحظ برسالة ختامية ممعنه لفضائل الكرم واحتجاج للمشككين في الهوية العربية، فقد أورد الجاحظ الكرم في رسالة مطولة.

ويعرف في لسان العرب مفردة " كرم" كما يلي:

الكريم:"" من صفات الله الحسنى وأسماءه وهو الكثير الحير الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكريم المطلق الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل والكرم اللّؤم يكون في الرجل بنفسه".

كما أن الكريم هو الذي يحوّل نصيبه دون تهديد أو إرغام فهو ينقص ويخفض نصيبه بإرادته، والكرم استعداد أن يعطي اكثر مما نحن مطالبين به"[1].

بالإضافة إلى أن للكرم سور تمثله، فلقد ورد في سورة الليل قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) " [2].

[1]- انظر: ابن منظور: ابن منظور، مجلد 12، مرجع سابق ، ص71

[2]- سورة الليل: الآية 5-10

كما جاء في الأحاديث النبوية أحاديث كثيرة عن الكرم والسّخاء نذكر منها عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:" **السخاء خلق الله الأعظمّ**"

وعن علي وأبي سعيد وأبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"**السَّخَاءَ شَجَرَةٌ مِنْأَ ـَشْجَار ِالْجَنَّةِ،أغصانها متدليات في الدنيا،من أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة، والبخث شجرة من أشجار النار أغصانها متدليات في الدنيا فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك إلى النار**".

عن طلحة بن عبيد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **إن الله جواد يحب الجود، ويحب معالي الأمور، ويكره سفاسفها**".

وقال عبد الملك بن مروان في الكرم: خير المال ما أفاد حمدًا أو نفى ذماُ، ولا يتركن أحدكم أبدًا بالمن يعول فإن الناس كلهم عيال الله تكفل بأرزاقهم فمن وسع أخلف عليه، ومن ضيق ضُيق عليه، وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه"[1].

لقد مثل المجون تيارا اجتماعيا يساريا، إذ كان اجتماع الإنسان ينبغي الاختلاف فإذا نجد نقيض للمجون في المجتمع العباسي، فظهر تيار اليمين المعتدل يدعو لحياة الزهد والايمان، ولقت دعوة هذا التيار من يمشي ورائها في المجتمع ولم يكن الانصراف إلى الزهد في هذا الكيان بدافع الحاجة فقط بل كان بدافع الإيمان والقناعة، ونجد أن المساجد والحلقات هي الأخرى تشهد إقبال الناس بكثرة لسماع دروس الوعظ والارشاد[2].

وبهذا نجد أن هذا التيار نجح أكثر من التيار الآخر، فبقي المجتمع متماسكا إلى درجة ما ولم يعرف الانحلال الكلي.

---

[1] – انظر: المحسن بن أبي القاسم التنوخي، المستجاد من فعلات الأجواد، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط1، سنة 2005م، ص 166–ص177

[2]–ينظر: أحمد أمين: ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، ج1، د.ت، ص132–133

وهذا ما ساد في المجتمع العباسي الذي لم يكن في مجمله مجتمعا منحلا يسلم نفسه للشهوات والترف فهذه سمات شاعت في مجتمعات محدودة في حين أن الأغلبية العامة لم تعرف زندقة ولا مجونا فهي طبقة محرومة بائسة، ساخطة على مظاهر الترف والمباذل والانحلال وإذا كانت حانات بغداد تكتظ بالمجان والقيان، والمغنيات، فإن مساجد بغداد قد كانت تفيض بالمتعبدين والزاهدين وأهل الصلاح، وكانت حافلة بالوعاظ الذي لم يفوتوا فرصة لمواجهة الانحلال وبلغ الأمر أن دخل بعضهم إلى قصر الخليفة يعضهم وانتشر كثير من النساك والزهاد الذين يعيشون حياة زاهدة خالصة لله، ومن أشهرهم سفيان الثوري عبد الله بن المبارك سفيان بن عينيه وغيرهم[1].

كما ساد التصرف أيضا في المجتمع العباسي وكان لرجال الدين أثر هام في تاريخ الإسلام، ليس بمحاولتهم صيانة التراث الديني فحسب، بل في جعل مباحث الديانة الاسلامية أوسع وأدق وأكمل وذلك بتوسيع الدراسات القرآنية وزيادة الأحاديث النبوية التي من شأنها العون على إيجاد وتأليف عقيدة متماسكة، كما تميز المجتمع العباسي باحترام التعاليم القرآنية والسنة النبوية إذ أخذوا يقومون بطقوس تتجاوز حدود الواجبات الدينية كصلوات النوافل والصيام.

وكانت النسوة أيضا المسلمات اللواتي أضفن إلى تدين الرجال حساسيتهن الخاصة، حيث هجرن ملاذ الدنيا للانقطاع إلى حياة تأملية خالصة، ويضاف إلى النساك الدين غدوا فيما بعد زهادا البكاؤون والقصاص الدين تتراوح فعاليتهم بين تفسير القرآن والوعض وبين إنشاء القصص ذي المغزى الأخلاقي[2].

[1]– انظر: محمد ربيع، أمين أبو الليل:: تاريخ الأدب العربي (1) العصر العباسي الأول، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، سنة 2006، ص43.

[2]– انظر: شارل بلات : الجاحظ في البصرة وبعداد وسامراء، مرجع سبق ذكره، ص 140

بالإضافة إلى الزهاد والمتصوفة ظهرت طائفة أخرى في المجتمع العباسي وهم المسجديون، إذ لم تكن المساجد للعبادة وحدها في ذلك العصر ولكن كانت تؤدى فيها أعمال مختلفة، فهي مكان للعبادة والخطابة، ومحكمة لتقاضي ومعهد للدراسة لذلك كان للمسجد دور كبير في الحياة الاجتماعية في عصره، حيث كانت منتدى لكل رواد، إن كان مقيما أو ظاعنا، فيه يصلّون، وفيه يسمرون ويتقاضون ويحتكمون، ومن حوله يبيعون ويشترون والمسجديون فيما هو مفهوم من كلام الجاحظ هم معتادوا المساجد من المداومين على الجلوس فيها وهم بداهله طوائف تتنوع حسب الميول والمذاهب، حتى من ينتحل الاقتصاد من أصحاب الجمع والمنع–أي البخلاء– كانت لهم حلقة يتذاكرون فيها فنون مذهبهم الاقتصادي، وكانت تسمى حلقة المصلحين"[1].

وبدا المسجد في زمن مبكر كبيت مشترك يجتمع فيه المسلمون لملء أوقات فراغهم ينتقلون من حلقة مستمعين إلى محدث تارة وإلى مفسر تارة أخرى، ولم يكن المسجديون كما ادعى البعض بأنهم " طائفة خاصة من البخلاء يجتمعون في المساجد كما يجتمع أهل الصناعة الواحدة، أو الرأي الواحد في أنديتهم"، بل هم جماعة تجانسوا في الطباع وقربت بينهم تربية موحدة[2].

بالإضافة إلى تلك الصفات التي يتميز بها المجتمع في العصر العباسي هناك نوع من المجالس كانت منتشرة في ذلك العصر وكان يسودها الحياء والانقباض كانت مجالس الإخوان مجالس الائتناس من السنن الإسلامية المتبعة فقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم– كما في حديث ابن عباس–إذا فاض من عنده من الحديث بعد القرآن، يقول: أحمضوا(أي أفيضكم فيما يؤنسكم من الكلام)، وذلك لما خاف عليهم من الملال، وأحب أن يريحهم فأمرهم بالأخذ في ملح الحديث والحكايات، لأن العرب لا يحبون الوحدة ولا الفراغ

[1]– انظر: علاء الدين رمضان السيد/ صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء، مجلة جذور، مرجع سابق، ص435

[2]– انظر: شارل بلات: الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، مرجع سبق ذكره، ص 342

لأنهما أجمع الخصال لأبواب المكروه من الشغل حتى وإن كُفيَ الواحد منهم أمر الدنيا، وقد كان الاجتماع عند أبناء ذلك العصر ينبع من استطالة فراغ الأيام، والرغبة في الأنس بالإخوان أو المتمتع بالمنادمة، فلأحاديث بعض رواد هذه المجالس حلاوة تدعوا إلى الاستكثار منهم[1].

ب-الجوانب السلبية:

لقد برع "الجاحظ" وأعطى وصفا يتناسب وحالة البخلاء وكيف أنه جسّد مع ما يتناسب وشخصيات الانسان البخيل" بيد أن براعة الجاحظ في وصف المتسولين ليس بشيء يذكر إذا قيست ببراعته في وصف البخلاء، فإن له في تصوير عبيد الدرهم هؤلاء، وفي فضح أساليبهم شغفا خاصا، فمن الحقد النفسي الذي يضمره المعدم عادة للنفوس القدرة المولعة بالكسب، على حرمانه، أججت ثورته على البخل والبخلاء، عوامل سياسية خطيرة، فهي حملته على الشعوبيين مثلا كان لابد أن يمتدح جود العرب ويظهر بخل الموالي وهل ثمة إهانة في نظر العربي أقبح من البخل.[2]

لقد وصف "الجاحظ" "البخلاء" وصفا دقيقا معبرا عن حالتهم التي كانوا عليها في حبهم للمال وفي تصرفاتهم، فكأنهم كانوا عبيدا من كثرة حبهم للشيء، ففي ذلك إهانة للعربي من شدة البخل.

-ماهية البخل:

مأخوذ من البُخْلَ والبُخُولُ، يضمها، وكجبل ونجم وعنقُ، ضدّ الكرم، بَخِلَ، كفرِحَ وكَرُمَ، بُخلاً، بالضم والتحريك، فهو باخل من البُخْل، كرُكع، وبخِيلٌ من بُخَلًا ورجلٌ بُخَلٌ محركة،

---

[1]- انظر: علاء الدين رمضان السيد، مرجع سابق ذكره ،ص 383

[2]- انظر: جميل جبر : الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، دار صادر، بيروت، د.ط، ص29

وصف باالمصدر، وبخالٌ: كسحاب وشدّاد، ومُعظْم وأبخله وَجَدَهُ بَخِيلًا وبَخَلَهُ تبخيلاً: رماه به، وكمرحلةِ: ما يحملك عليه، ويدْعُوك إليه[1]

أما في كتاب العين نجد أن البخل مأخوذ من:

بخل: بخلَ بخلاً وبُخْلاً فهو بَخِيلُ، بَخَالٌ، مُبْخَّلٌ، والبُخْلَةُ: بَخُلَ مرة واحدةٍ.

قال عدي بن زيد:

وللبَخْلة الأولى لمَنْ كان باخلاً أعَفُ ومن يَبُخلُ يُلمُ ويُلَهَّدُ[2]

وجاء في لسان العرب نجد أن البخل مأخوذ من:

بخل: البُخْل والبَخَلُ: لغتان وقرئ بهما والبَخْل والبُخوْل: ضد الكرم وقد بَخِلَ يَبْخُلُ بُخلًا وبَخَلًا، فهو بَاخِلٌ: ذو بُخْل، والجمع بُخَّال، وبَخِيلٌ والجمع بُخَلَاء.

والمبخلة: الشيء الذي يحملك على البخل، وفي حديث النبي –صلى الله عليه وسلّم–" **الولد مجبَنَةٌ مَجْهَلَة مَبْخَلَةٌ هو مَفْعَلَةٌ من البُخْل**"[3]

كما أن للبخل في القرآن الكريم سورا تمثله، فلقد ورد في "سورة النساء:" الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا [4]

فقد وضّح القرآن الكريم أن البخل من الصفات التي لا تليق بالإنسان ونهى الذين يبخلون ويأمرون بالبخل.

---

[1]–مجد الديم محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة بخل، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط8، سنة 2005م، ص965.

[2]–أبو عبيد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، ج2، دار الكتاب، لبنان، ط1، د.ت، ص 272

[3]–ابن منظور: لسان العرب، الجزء الأول، مادة بخل، مرجع سبق ذكره، ص 222

[4]–سورة النساء، الآية 37

وفي سياق "سورة محمد" يأتي بكيفية مباشرة، يقول هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ "[1].

إن البخل في القرآن الكريم في سور متعددة دليل على أن الله سبحانه وتعالى لا يحب الانسان البخيل، بل يحب أن يكون الإنسان معتدلا يعطي كل ذي حق حقه، فلا يبسط يده كل البسط ولايجعلها مغلولة، فعلى الإنسان أن يكون رحيما ينفق مما رزقه الله سبحانه وتعالى.

نقل لنا "الجاحظ" أخبار البخلاء وصورهم في أحسن صورة، فقد كان نقله لهذه الظاهرة صورة حية، لأنه عايش الناس في هذا العصر فعرف طبعهم وصفاتهم التي كانت سائدة في ذلك الوقت.

إنّ ذكر "الجاحظ" للشخصيات البخيلة من أجل التّشهير بهم أو تشويه صورتهم وإنما ذكر ذلك من أجل رصد هذه الظاهرة الاجتماعية السائدة آنذاك.

بدأ الجاحظ برسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد حين ذموا مذهبه في البخل وتتبعوا كلامه في الكتب"[2]

ومما جاء في " رسالة سهل بن هارون" " وعتبتموني حين قلت للغلام: إذا زدت في المرق فزد في الإنضاج، لنجمع بين التأدم باللحم والمرق، ولنجمع مع الإرفاق، بالمرق الطيب، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا طبختم لحما فزيدوا في الماء فإن لم يصب أحدكم لحما أصاب مرقا"[3].

---

[1]–سورة محمد : الآية 38

[2]–ينظر: زهية عزالدين، الأنساق الثقافية في بخلاء الجاحظ، مذكرة لنيل شهادة الماستر، المركز الجامعي ميلة، سنة 2013، ص 45.

[3]–أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ): البخلاء، منشورات، تلانتفيت، بجاية، الجزائر، ص15

وجاء في رسالة "سهل بن هارون" ذات الأصل الفارسي في آداب الإنفاق إلى تصوير بخل أهل خراسان ولاسيما أهل مرو الذين يكاد البخل يكون فيهم فطرة وغريزة يولدون عليها وفيهم يكتب "الجاحظ" قائلا:" نبدأ بأهل خراسان، لإكثار الناس في أهل خراسان ونخص بالذكر أهل مرو بقدر ما خصوا له: قال أصحابنا: يقول المروزي للزائر إذا أتاه وللجليس إذا طال جلوسه تغذيت اليوم؟ فإن قال نعم، قال: لولا أنك تغذيت لغذيتك اليوم بغداء طيب وإن قال لا... قال: لو كنت تغذيت سقيتك خمسة أقداح، فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير"[1]

حيث يرى " الجاحظ" أن البخل في أهل خراسان لا يقتصر على البشر، وإنما هو وباء يتشرب إلى الحيوانات أيضا، وفي هذا يتابع الجاحظ فيقول:" وقال تمامة: لم أر الديك في بلدة قط إلا وهولا فظ، يأخذ الحية بمنقاره ثم يلفظها قدام الدجاج، إلا ديكة مرو، فإني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في منقارها من الحب، قال: فعلمت أن بخلهم شيء في طبع البلاد وفي جوهر الماء، فمن ثم عم جميع حيوانهم[2].

بالإضافة إلى قصة "تمام بن جعفر"، حيث كان بخيلا على الطعام مفرط البخل، وكان يقبل على كل من أكل خبزه بكل علّة، ويطالبه بكلّ طائلة، وكان إن قال له نديم:" ما في الأرض أحدٌ أمشى مني، ولا على ظهرها أقوى على الحضر مني" قال: " وما يمنعك من ذلك وأنت تأكل اكل عشرة. وهل يحمل الرجل إلا البطن. لا حمد الله من يحمدك"، فإن قال: " لا والله إن أقدر أن أمشي أضعف الخلق عنه، وأني لأنبهر من مشى ثلاثين خطوة" قال:" وكيف تمشي، وقد جعلت في بطنك ما يحمله عشرون حمالا؟ وهل ينطلق الناس إلا مع

[1]-أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ): البخلاء، تح:طهالحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص10

[2]–جمال فؤاد العطار : آراء الجاحظ في مناقب الأمم ومثالبها، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، الجامعة الأمريكية بيروت، 1989م، ص76

خفة الأكل؟ وأي كبطن يقدر على الحركة؟ وإن الكظيظ ليعجز عن الركوع والسجود فكيف بالمشي الكثير؟"[1]

كما ظهرت طائفة شعبية من المستثمرين مؤلفة من المتسولين واللصوص والمشعوذين تفيد من سذاجة بعض الناي ولا تحجم حتى الاستعانة بالمقدسات واستباحتها لأجل تحصيل الدرهم، وقد وصف "الجاحظ" في كتابه "البخلاء" بعض نماذج منهم وبين طرق خداعهم منبها إلى ألاعبيهم وشرهم.

فإذا المخطراني هو من يأتي في زي ناسك ويدّعي أن بابك قد قطع لسانه ثم يفتح فاه كما يضع ما يشاء، فلا ترى له لسانا البتة، ولابد لهذا المخطراني أن يكون معه واحد يعبر عنه أو لوح أو قرطاس قد كتب فيه شأنه وقصته، وبهذه الحيلة البارعة يستثير شفقة البسطاء فيبتز مالهم"[2].

أما الكاغاني فهو يتصنع الجنون، وأما القرسي فهو من يعصب ساقه وذراعه عصبا شديدا ويبيت على ذلك ليلة، فإذا تورم واختنق الدم، مسحه بشيء من صابون ودم الأخوين (نبات أحمر) وقطر عليه شيئا من سمن، وأطبق عليه خرقة أو كشف بعضه فلا يشك من رآه فيرق قلبه عليه ويعطيه بعض الدراهم[3].

وأما العواء، فهو الذي يسأل بين المغرب والعشاء، وربما طرّب، إن كان له صوت حسن وأما الأسطيل فهو المتعامي الذي إن شاء رآك أنه منخسف العينين، وإن شاء رآك أن بهما ماء وإن شاء أراك أنه لا يبصر، وأما المزيد فهو الذي يدور معه الدريهمات ويقول: هذه دراهم قد جمعت لي في ثمن قطيفة، فزيدوني فيها رحمكم الله[4].

---

[1]– السيد عبد الحليم محمد حسين: السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر، طرابلس، ط1، 1988م، ص53

[2]– جميل جبر: الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، دار صادر، بيروت، د.ط، د.س، ص28

[3]– انظر: جميل جبر: الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، مرجع سابق ، ص 29.

[4]– انظر: المرجع نفسه، ص ن.

ويستفيض "الجاحظ" في وصف حيل أوليك المكدين ويبرع في تصوير ظاهرهم وتحليل مقاصدهم، وقد حذر خصوصا من شر الشعراء والخطباء، كما ظهرت في المجتمع اوجه عديدة للاحتيال، حيث تناول الجاحظ في كتابة أبرز الأوجه التي عني بتسجيلها هي احتيال السكان على المسكن، أو احتيالهم على أمر من الأمور بالسكن عينه، ومن حالات الاحتيال التي سجلها الجاحظ، أن يدس الساكن في أموال الكراء درهما مزأبقا أي مطليا بالزئبق إيهاما بأنها فضة، أو مكحلا أي أن يجعل على الدرهم شيئا من السواد للتغرير بمن يأخذه أو درهما زائفا أي رديئا، أو دينارا بهرجا رديء الذهب، وربما استضعف الساكن عقل أصحاب الدور وطمع في إفسادهم وغبنهم ويغريهم بالمال ويفتح عليهم باب النفقات والشهوات حتى إذا تيقن من أنه أحاط بهم أعجلهم بالطلب حتى يتقوه بالبيع أو الرهان بالدين، وربما جعله بيعا في الظاهر ورهنا في الباطن، ومن المحتالين من يستأجر دارا حتى يسرق متاع جيرانه أو أن ينقب على صيرفي حائطا ليسرقه[1]

حيث يلجأ الناس إلى الحيلة لتحقيق ما يهدفون إليه، متخذين شتى الوسائل والأساليب، مما جعل "أبو عثمان" يعرض صورا لهم، كاشفا أقنعتهم في أسلوب مرح ساخر.

يقول في قصة "الكندي":" حدثني "عمر بن نهيوي"، قال:" كان "الكندي" لا يزال يقول للساكن، وربما قال للجار، إن في الدار امرأة بها حمل، والوحمى ربما أسقطت من ريح القدر الطيبة، فإذا طبختم فردوا شهوتها بغرفة، أو لعقة فّإن النفس يردها اليسير، فإن لم تفعل ذلك بعد إعلامي إياك، فكفارتك، إن أسقطت، غرة عبد أ وأمة، ألزمت ذلك نفسك أم أبيت، قال: فكان ربما يوافي إلى منزله من قصاع السكن والجيران، ما يكفيه الأيام، وكان أكثرهم يفطن ويتغافل"[2].

[1]– انظر: علاء الدين رمضان السيد: صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي جدة، ج14، مج7، سبتمبر 2003، ص– ص 441، 442

[2] - انظر: السّيد عبد الحليم محمّد حسين: مرجع سبق ذكره، ص180-181

وكان " الكندي" يقول لعياله:" **أنتم أحسن حالا من أرباب هذه الضباع إنما لكل بيت منهم لون واحد، وعندكم ألوان**"[1].

بالإضافة إلى أنّ "الجاحظ" تفطّن لأولئك الذين يحبّون أن يأخذوا دون أن يعطوا، ويتنكّرون لمن يسدي إليهم الجميل، وإذا نزل بالمحسن إليهم، ضائقة نفروا منه، وتفرّقوا من حوله، وإذا قصدوهم في معروف أنكروهم بل وأهانوهم، لأنّهم أنانيون، جشعون، نهمون، تحكمهم مصالحهم الخاصة فقط[2].

وقد صوّرهم "الجاحظ" بطبيعتهم التي عليها فطروا، فقال: "ومِن أعاجيب أهل (مرو) ما سمعنا من مشيختنا على وجه الدهر، وذلك: أنّ رجلاً من أهل (مرو) كان لا يزال يمرّ على رجل من أهل العراق، فيكرمه ويكفيه مؤنته، ثمّ كان كثيراً ما يقول لذلك العراقي: «ليت أنّي قد رأيتك بـ (مرو) حتى أكافئك، لقديم إحسانك، وما تجددّ لي في كل قدمة ههنا، فقد أغناك اللّه عنّي، قال: فعرضت لذلك العراقي بعد دهر طويل حاجة في تلك النّاحية، فكان ممّا هوّن عليه مكابدة السّفر ووحشة الاغتراب، مكان المروزي هنالك، فلمّا قدم مضى نحوه في ثياب سفره وفي عمامته وقلنسوته وكسائه، ليحطّ رحله عنده، كما يصنع الرّجل بثقته وموضع أمنه، فلمّا وجده قاعداً في أصحابه، أكبّ عليه وعانقه، فلم يره أثبته ولا سأل به سؤال من رآه قط. قال العراقيّ في نفسه: لعلّ إنكاره إيّاي لمكان القناع فرمي بقناعه، وابتدأ مساءلته فوجده أشدّ ما كان إنكاراً، قال: فلعلّله إنّما أتى من قبل القلنسوة، وعلم المروزي أنّه لم يبق شيء يتعلّق به المتغافل والمتجاهل، فقال: لو خرجت من جلدك لم أعرفك! ترجمة هذا الكلام بالفارسية: «أكراز يوست بارون بياني تشناستم»[3].

ظهرت، في المجتمع العبّاسي طائفة من النّاس أحبّت طعام الغير، وهامت به، وملك عليها سمعها وبصرها، فأقبلت على الولائم، وحلفت بالأعراس فتتبّعت أخبارها، ورمت نفسها

[1] -أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ): البخلاء، تح طه الحاجري، مصدر سابق ، ص81

[2] - انظر: السّيد عبد الحليم محمّد حسين، مرجع سابق ، ص154

[3] - أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ): البخلاء، تح طه الحاجري،مصدر سابق ، ص22

في أحضانها، وشاركت فيها، دون أن تدعى إليها، مع عدم حاجاتها لذلك، حتى نُعت أولئك بـ "الطفيليين" نسبة إلى "طفيلي الأعراس"، يصفه "الجاحظ" بقوله: "كان بالكوفة رجل من بني عبد اللّه بن غطفان يسمّى طفيل، كان أبعد النّاس نجعة في طلب الولائم والأعراس فقيل له لذلك "طفيل العرائس" وصار ذلك نبذاً له، ولقبا لا يعرف بغيره، فصار كل من كانت تلك طعمته، يقال له"طفيلي".

ومن صفات الطّفيلي: حسن المظهر، وجمال الهيئة، وخفة الرّوح، وإجادة الدّعابة وكان طفيل الأعراس يقول: «وددت لو أنّ بـ "الكوفة" بركة مصهرجة، فلا يخفى علي من أعراسها شيء»[1].

ومن أجمل اعتذارات الطّفيليين حضورهم موائد لم يدعوا إليها قول شاعرهم:

نحن إذا دعينا أجبنـا ومتى ننسى يدعنا التّطفيل

ونقل علنًا دعينا فغبنا وأتانا فلم يجدنا الرسول

وأتى طفيلي طعاماً ما لم يدع إليه، فقيل له، من دعاك؟ فأنشأ يقول:

دعوت نفسي حين لم تدَعْنِـي فالحمد لي، لا لكَ، في الدّعوة

وكـان ذا أحنّ من مَوعـدِ خلفهُ يدعُو إلى الجَفْوَة[2]

وتناول "الجاحظ" هذا النّوع من النّاس بالسّخرية البارعة حيث يقول: «وكان رجل يغشى طعام "الجوهري"، وكان يتحرّى وقتَه ولا يخطئ فإذا دخل، والقوم يأكلون وحين وُضع الخوان قال: لعن اللّه القدرية، من كان يستطيع أن يصرفني عن أكل هذا الطّعام، وقد كان في اللّوح

[1] - أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ): البخلاء، تح طه الحاجري،مصدر سابق ، ص78
[2] -عبد العزيز البشري: المختار، مطبعة المعارف، القاهرة، ج2، سنة1937، ص141

المحفوظ أنّي سآكله؟» فلمّا أكثر من ذلك، قال له "رباح": تعال بالعشي، أو بالغداة، فإن وجدت شيئاُ، فألعن القدرية وألعن آباءهم، وأمّهاتهم»[1].

ووصف الجاحظ شغف الطّفيليين إلى موائد الغير، فقال: «أشتهي سريدة دكناء من الفلفل ورقطاء من الحمّص، ذات جفافين من اللّحم، لها جناحات من العراق أضرب فيها ضرب اليتيم عند وصي السّوء»[2].

بالإضافة إلى المجون فقد كانت البساتين حول سامراء وبغداد تمتلئ بحانات الخمر والسّماع، وكان النّاس يختلفون إليها، وقد يختلفون بأنفسهم إلى زاوية في بستان ويتّخدون منها لأنفسهم حانة، يشربون فيها على أزهار الرّياض وأبصارهم تمتلئ بجمال الجواري وآذانهم تستمتع بالسّماع، وكثيراً ما صوّر الشّعراء هذا الإمتاع المضاعف بجمال الطّبيعة وجمال المرأة ونشوة الخمر من مثل قول البّحتري:

اشرب عَلَى زَهْرِ الرِّيَاضْ يَشُوبُـهُ

زَهْرُ الخُدُود وَزَهْرَةُ الصَّهْبَـاءْ

مِنْ قَهْوَةٍ تُنْسِى الهُمُومَ وَتَبْعَثُ الـ

شَّوْقَ الذِّي قَدْ ضَلّ فِي الأَحْشَاءْ

ولم يتوقّف المجون عند هذا الحدّ بل تجاوزته العامّة والخاصّة إلى الإفتتان فيه وفي أنواعه حتّى وصل إلى حدّ جدّ ممجوج وناب عن الذّوق الأخلاقي يكاد فيما يصوّر الجاحظ

[1] -أبو عثمان بن بحر (الجاحظ): البخلاء، تح: طه الحاجري،مصدر سبق ذكره، ص147
[2] -المصدر نفسه: ص179

وغيره لا يخلو منه شارع، وما أكثر الأشعار والنّكت والأخبار المفرطة في الإباحية الجنسية التّي تصوّر هذا الوضع[1].

فالجواري والقيان كان لهنّ الدّور في انتشار موجة المجون ما دفع الشّعراء إلى الإلتفاف حولهنّ ما أدّى إلى ظهور وشيوع الغزل الفاحش المكشوف، وقد بلغت هذه الموجة ذروتها في عهد الأمويين[2].

حيث كان المجون في العصر العبّاسي ما هو سوى شكلاً من أشكال الحياة الإجتماعية، وهناك من يرى أنّ الماجن زنديق، والسّبب في انتشار المجون يختلف بين النّاس فهناك من راح يطلب ملذّات الدّنيا ونعيمها وتلبية الشّهوة بدافع التّرف ووفرة المالوهناك من قصد المجون تكسّباً فاحترف تجارة الخمر وصناعاتها وإقامة البيوت لها والحانات والبساتين، ولهذا نجد هذا العصر يشهد إنحلالاً أخلاقياً رهيباً، وسبب هذا الفساد الاجتماعي هو السّياسة الإجتماعية المنتهجة، فالصّورة التي ينظر من خلالها الى مجتمع العباسيين في القرن الثالث الهجري هي صورة الخمارات والحانات ودور القصف واللّهو[3] واعتبروا بعض أنواع الشّراب لا تدخل في نطاق الحرام فقال ابن الرّومي:

أَبَاحَ اَلعِرَاقِيُّ النَّبِيذَ وَشُرْبَهُ وَقَالَ: الحَرَامان المُدَامَةْ وَالسّكْرُ

وَقَالَ الحِجَازِي:الشَّرَابَانِ وَاحِدٌ فَحَلَّتْ لَنَا مِنْ بَيْنِ اخْتِلَافِهِمَا الخَمْر[4]

1- انظر: عزت السّيد أحمد: فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د،ط، سنة 2005 ص440

2- انظر: سهام بوقطة، فاطيمة دوخي، شعر وصف القصور العباسية علي بن الجهم، نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الليسانس، المركز الجامعي ميلة، سنة2014.

1 انظريوسف لطرش زين الدين غوالمي، هجاء المجتمع في شعر ابن الرومي قصيدة، طار قوم، مذكرة لنيل شهادة الليسانس، المركز الجامعي ميلة، 2012، ص32.

2-ابن الرمي: الدّيوان، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنانن ط3، ج2، 2002، ص61.

خاتمـة

خاتمة:

كان هذا البحث فسحة أدبية وفنية في رحاب الأدب والتراث العربي القديم، من خلال هذه الدراسة نحاول أن نستخلص أهم النتائج التي توصلنا إليها في دراستنا لموضوع "صورة المجتمع السياسي في كتاب البخلاء من خلال:

– كان موضوع الدراسة في العصر العباسي في غاية التعقيد وذلك لامتزاجه بحضارات وأعراف وأجناس متعددة اختلطت وتشابكت وتلاحقت تلاحقا غريبا في دمائها وعاداتها وتقاليدها وأنماط تفكيرها وخصائص سلوكها.

– قسم الجاحظ من حيث وجهة نظره في كتابه البخلاء المجتمعات من حيث المزاج إلى كالحين وفاكهين، ومن حيث الدين والخلق إلى صالحين وطالحين ومن حيث المال إلى أغنياء وفقراء ومن حيث العطاء إلى بخلاء وأسخياء، ومن حيث النعمة إلى مترفين ومنعدمين.

– لقد رأى الجاحظ وأرى كل شخص من أشخاصه في بيئته الخالصة وثوبه الخاص وحركاته الخاصة فلم يعط عنهم رسما بل صورهم تصويرا واقعيا ملونا.

– إن النماذج البشرية العامة تستمر هي في الجوهر حتى تبدلت الأشكال تبدلا ثوريا. ولقد تعد الجاحظ من خلال المظهر العابر إلى أعماق النفس البشرية فبين خصائصها الملازمة في كل عصر، فالبخلاء والحساد والخليعات والمستثمرين واللصوص وغيرهم ممن وصف أبو عثمان تخالهم أحياء في ما بيننا وفي جيلنا الحاضر ولكن في زي قديم.

– لم يستهدف الجاحظ انشاء نظام اجتماعي جديد، فإنه أشار إلى أمور جوهرية لإصلاح الانسان المجتمع حيث حرك جملة أفكار هي في أساس المفاهيم القانونية الاجتماعية الحديثة كشرعية السلطة وحرية الانسان الطبيعية والتأثير البيئوي وسلطة الرئيس، وحقوق المرأة والتضامن البشري.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أ-المصادر:

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

1-التربيع والتدوير: تحقيق شارل بلات، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، د.ط، 1995

2-البخلاء: تحقيق طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط5

3-البخلاء: منشورات تلانتقيت، بجاية، الجزائر.

4-المحاسن والأضداد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1994

ب-المعاجم:

- ابن الرومي: الديوان، ش أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 2002، ج2

- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 2005م

-أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور: لسان العرب، ضبطه وعلق حواشيه: خالد رشيد القاضي، دار صبح، إديسوفت، بيروت، ط1، 2006.

-الإمام محمد بن أحمد أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان بيروت، د.ط، 1986

-الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي سلسلة المعاجم والفهارس، ج2، دار الكتاب، لبنان، ط1، د.ت.

ج-المراجع:

- أحمد أمين: ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط7، ج1

- اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي-انجليزي) د.بلد، د.ط، د.ت

- المحسن بن أبي القاسم التنوخي، المستجاد في فعلات الأجواد، فضل العطاء على العسر ويليه الذر المنضودفي ذم البخل ومدح الجود تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت-لبنان، د.ط 2005.

- ظبية صالح الشدر، ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، دار قباء، د.ط، د.ت

- عبد العزيز عتيق، في الأدب الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1 2001.

- عزت السيد أحمد، فلسفة الخلاق عند الجاحظ، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق د.ط، 2005.

- فوزي السيد أحمد، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، مطبعة أبناء وهبة حسان، القاهرة، د.ط، 2005.

- مجيد محمود أبو حجير، المرأة والحقوق السياسية في الإسلام، مكتبة الرشيد، الرياض ط1، 1997

- محمد ربيع، أمين أبو الليل، تاريخ الأدب العربي (1) العصر العباسي الأول، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006.

-أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا، دار النهضة، مصر- القاهرة، د.ط، د.ت.

-السيد عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية العربية الليبية الإشتراكية، طرابلس، ط1، .1988

-السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، د.ط.، ج3/ 1992.

-أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط14، 1989.

-جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

-سامي عابدين: في الأدب العباسي (قصر المأمون وأثره على العصر)، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2001.

-سامي يوسف أبو زيد، الأدب العباسي-النثر، دار المسيرة، عمان-الأردن، ط1، 2011.

-سعد زغلول عبد الحميد، التاريخ العباسي والأندلسي، مكتبة كريدية إخوان، بيروت د.ط، 1976.

-شارل بلات، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، تحقيق: ابراهيم الكيلاني، دار اليقظة العربية، دمشق، سوريا، د.ط، 1961.

-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة ط12، 2001.

-عبد العزيز البشري، المختار، مطبعة المعارف، القاهرة، ج2، د.ط، 1937.

-علي أحمد الخطيب، دراسات في مصادر الأدب العربي، العلم والإيمان للنشر والتوزيع دسوق، ط1، 2009.

-محمد علي زكي الصباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، مراجعة ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998.

د- الرسائل الجامعية:

1-باهية سعدو، سيمياء البخل في كتاب البخلاء للجاحظ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2010.

2-جمال فؤاد العطار، آراء الجاحظ في مناقب الأمم ومثالبها، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1989.

3-زهية عزالدين، الأنساق الثقافية في بخلاء الجاحظ، مذكرة معدة لإستكمال لمتطلبات نيل شهادة الماستر، المركز الجامعي، ميلة، 2013.

4- سناء بوحبيلة، آراء الجاحظ النقدية من خلال البيان والتبيين، الخطابة أنموذجا، دراسة تداولية، مذكرة لاستكمال شهادة الماستر، المركز الجامعي ميلة، 2012.

5-سهام بوقطة، فاطمة دوخي، شعر وصف القصور العباسية علي بن الجهم، أنموذجا. مذكرة لنيل شهادة الليسانس، المركز الجامعي، ميلة، 2014

6-يوسف لطرش، زين الدين غوالمي، هجاء المجتمع في شعر ابن الرومي، قصيدة " طار قوم"، دراسة موضوعية فنية، مذكرة لنيل شهادة الليسانس، المركز الجامعي ميلة، 2012

هـ-المجلات والمنتديات:

1-بركات محمد مراد، الجاحظ الفيلسوف الساخر والأديب الناقد، مجلة المسار، كلية التربية، العراق، العدد35..

2-سلطان الزغلول: وقفة مع كتاب البيان والتبيين للجاحظ، مجلة جدور، ج31، مج12، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 2011.

3- علاء الدين رمضان السيد: صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء، مجلة جدور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج14، مج7، 2003.

4-قحطان صالح الفلاح، الترسل السياسي العباسي الأول، مجلة جدور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج23، مج 10، 2016.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ. ب، ج
مدخل : تحديد المفاهيم والمصطلحات..... 5
1-مفهوم المجتمع السّياسي..... 5
أ-المجتمع..... 5
ب-السياسة 5
لغة..... 5
اصطلاحا..... 6
2-تمظهراته..... 7
أ- الطبقة الحاكمة..... 7
ب-الشعب..... 7
3-تجليات البعد السياسي في الأدب العربي القديم..... 8
أ-في الشعر..... 9-8
ب- في النّثر..... 10
3-1- في العصر الجاهلي..... 10
أ/ الخطابة..... 10
ب/القصص..... 11
3-2- في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي..... 12
الخطابة..... 12
3-3- في العصر العباسي 14-13
4-نبذة عن حياة الجاحظ و السياقات التاريخية للبيئة العباسية... 15
أ-مولده..... 15
1-صورة عن عصره..... 15
2-سيرته وحياته..... 16

3-مولده..... 17
4-نشأته ومقامه..... 18
5-شيوخه..... 19
6-ثقافته..... 21-20
7-مؤلفاته..... 22
7-1-كتاب البخلاء..... 22
7-2-كتاب البيان والتبيين..... 23
7-3-كتاب الحيوان (سبعة أجزاء)..... 23
7-4-رسالة التربيع و التدوير 24
ب- الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للعصر العباسي..... 24
1-الحياة السياسية..... 25-24
2-الحياة الاجتماعية..... 26
3-الحياة الثقافية..... 27
الفصل الأول: تجليات صورة الطبقة الحاكمة في كتاب البخلاء..... 29
1-الجوانب الايجابية 31-29
2-الجوانب السلبية..... 35-32
الفصل الثاني: تجليات صورة الطبقة المحكومة في كتاب البخلاء..... 37
1-الجوانب الايجابية 40-37
2-الجوانب السلبية..... 50-41
خاتمة..... 52
قائمة المصادر والمراجع..... 58-54
فهرس الموضوعات..... 61-60